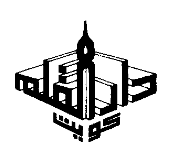
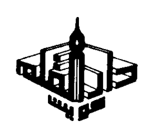
# العقيدة الإسلامية

## منهـــج ميســر

عبد الوارث مبروك سعيد



الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م



دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف: ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقياً توزيعكو
ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

ـ ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ( سورة آل عمران : ١٩ ) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (سورة النساء : ١٣٦)

## مدخل

أولا : المصطلحات الأساسية : العقيدة . الإيمان . الإسلام . الشريعة . الدين .

ثانياً : أهمية العقيدة .

ثالثاً : مصدر العقيدة وخصائصها .

## أولا : تحديد المصطلحات الأساسية
## ( العقيدة . الإيمان . الإسلام )

**( أ ) لغة :**

**١ ــ العقيدة** : من مادة ( ع . ق . د ) التي منها « عُقْدة » الحَبْل ، و « عَقْد » البيع واليمين والعهد ؛ فهي « فَعيلة » بمعنى « مفعولة » أي أنها « معقودة » ومؤكدة وموثّقة وراسخة في قلب صاحبها ، أو ــ كما ورد في الأثر ــ « ما وَقَرَ في القلب » . فإن لم تكن كذلك لم تكن « عقيدة » بالمعنى الصحيح . فالعقيدة ، إذاً ، بمعنى « الإيمان الصادق الجازم » .

**٢ ــ الإيمان** : من مادة (ء . م . ن) التي منها : «الأمن» و «الأمان» و «الأمانة» . فالعقيدة الصحيحة الراسخة تكون لصاحبها مصدر « أمْنٍ » و « أمان » من كل ما يخاف منه المحرومون من تلك العقيدة ؛ قال تعالى :

ــ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٦:٨٢)[١]

ومن هنا فالإيمان « أمانة » غالية في ذمة صاحبه ومسؤوليته .

**٣ ــ الإسلام** : من مادة (س . ل . م ) التي منها : « السلامة » من الهلاك والخطر والنقص والمرض . و « السَّلام » ــ أو

(١) سيشار دائماً إلى مواضع الشواهد القرآنية برقمين على هذا النحو (ــ : ــ) الرقم الأول هو رقم السورة ، والثاني وما بعده هو رقم الآية أو الآيات .

« السِلْم » ــ الذي هو أمان من كل المهالك التي تأتي من النفس أو من الآخرين.

٤ ــ **الإيمان والإسلام**: الإيمان ــ الذي هو عمل القلب ــ سلام داخلي، والإسلام ــ الذي هو عمل الجوارح ــ سلام مع العالم الخارجي؛ فهما معاً وجهان لبناء واحد: الإيمان الصادق بذرة صالحة تستقر في التربة الصالحة ويتعهّدها المؤمن بالرعاية والصون والسُّقيا فتنمو إلى شجرة ظليلة مثمرة هي الإسلام بأركانه وشعبه الكثيرة التي لا يقف خيرها عند حد. قال تعالى:

ــ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١٤: ٢٤ ــ ٢٥).

٥ ــ **آمن وأسلم**: هذان الفعلان، ومصدراهما: « إيمان » و « إسلام »، من مادتين تكادان تتحدان في المعنى، وصيغتهما في اللغة واحدة: « أفعل » ــ مثل أكرم وأخبر ــ وهي صيغة معروفة بأنها ــ غالباً ــ متعدّية، أي: تقتضي وجود مفعول به يقع عليه معنى الفعل. فنحن نقول: أخبرت محمداً بكذا وكذا .. فأين المفعول به في قولنا: آمنت بالله وأسلمت لله؟ لعل المعنى: آمنتُ نفسي وحياتي ( أي: أعطيتهما الأمن ) بالله ( أي: بفضل اعتقادي بالله )؛ وأسلمت نفسي وحياتي ( أي: أعطيتهما سالمتين كاملتين ) لله وحده عز وجل. لعل المعنى على هذا النحو، والله أعلم! ألم يقل ربنا سبحانه:

— ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦: ١٦٢ — ١٦٣).

**( ب ) — شرعاً :**

**٦** — « العقيدة » و « الإيمان » — إذاً — اسمان لمسمى واحد وحقيقة شرعية واحدة هي : « التصديق القلبي الجازم — الخالي من أي شك — بمكونات الإيمان — أو أركانه — التي سنذكرها فيما بعد — بحيث يطمئن إليها القلب وتأمن بها النفس وتتحرك بها الجوارح طبقاً للمنهج الذي أنزله من آمنت به وعقدت القلب على ذلك.

**٧** — أما « الإسلام » فله — شرعاً — عدة إطلاقات حسب السياق الذي يرد فيه هذا المصطلح :

أ — الانقياد والطاعة لكل ما جاء به الرسول محمد ﷺ عن ربه : نطقاً بالشهادتين وعملا بشريعة الله كاملة في العبادات والمعاملات ؛ وهذا هو مقتضى الإيمان أو العقيدة في الله.

ب — دين الله الذي أنزله على جميع رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وختمه بمحمد ﷺ وبرسالته :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (٣: ١٩)

ج — قبول هذا الدين والدخول فيه وترك ما عداه.

**٨ — مصطلحات أخرى :**

**الشريعة : لغة**. من مادة (ش . ر . ع ) التي تدل — في أصلها — على الظهور ويسر المأخذ. و « الشريعة » — فعلية بمعنى مفعولة —

تعني في أصل اللغة : « مورد الماء الذي يستسقى منه بلا رِشاء » ( أي : بلا حَبْل ) لقرب الماء ( المعجم الوسيط ١ : ١٨٢ ) .

أما **شرعاً** ، فإن « الشريعة الإسلامية » هي : « جملة الأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده ويسَّر عليهم الوصول إليها » فأنزل الكتاب وحفظه وأرسل الرسول وعصمه .

يقال : « الإسلام عقيدة وشريعة » إشارة إلى ما يتميز به من تكامل وشمول بين عمل القلب وعمل الجوارح .

**٩ ـــ الدين : لغة** ، من مادة ( د . ي . ن ) التي تدل على الخضوع والذّل والطاعة . وحقيقة « الدين » ـــ في المفهوم الإسلامي ـــ هي الخضوع التام والعبودية المطلقة لله رب العالمين : لمنهجه وشريعته . وهذا المعنى مطابق لمعنى « الإسلام » ، ومن هنا كانت الإشارة الإلهية :

**﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** ،

وكان الحكم الصريح الحاسم :

ـــ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣:٨٥)

إذاً ، فمن الخطأ إطلاق مصطلح « دين » على غير « الإسلام » ، لأن كل ما يخالف الإسلام ليس « ديناً » بل يسمى بأي اسم آخر مثل : مِلّة أو نحلة أو مذهب أو مذهبية أو منهج .. الخ . كذلك يتضح أن ترجمة « دين الإسلام » بكلمات أجنبية مثل : **The Religion of Islam** تعتبر تشويهاً للمفهوم الإسلامي للدين لأن ما يعنيه غير

المسلمين بكلمة Religion غير ما يعنيه المصطلح في القرآن أو السنة أو تراث الإسلام.

١٠ ــ ومن معاني « الدين » : الجزاء، في نحو « يوم الدين ». وهناك علاقة وثيقة بين هذا المعنى والمعنى السابق، لأنه إذا كان « الدين » هو المنهج الرباني الشامل لحركة حياة الفرد والجماعة، فمن اللازم أن تنشأ عن ذلك مسؤولية تكافئ أبعاد هذا المنهج وجزاءٌ عادل على أساس القيام بهذه المسؤولية أو التفريط فيها أو إهدارها كلية. إذاً، « يوم الدين » ضرورة لوجود الدين ووصوله إلينا وتكليفنا به[٢].

### ١١ ــ الدين والدنيا :

شاع الربط بين هذين المصطلحين على هذا النحو. وأعتقد أنه ــ من المنظور الإسلامي الصحيح ــ ربط خاطئ، لأن الدين هو منهج سياسة حركة الحياة الدنيا وتوجيهها، فهما ممتزجان، ولا يوجد الدين ــ صحيحاً ومقبولا إسلامياً ــ بمعزل عن الدنيا، اللهم إذا أخذنا الدين بالمفهوم غير الإسلامي ــ كما في الغرب مثلا ــ على أنه مجرد شيء نؤمن به ثم نُنَحّيه جانباً ولا نسمح له بالتدخل في أي من شؤون حياتنا، أي أن نفهم الدين فهماً « علمانياً » كقول من قال : « لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ».

ولم يَرِد هذا الربط بين الدين والدنيا في القرآن، كما أنه ــ على حد

---

(٢) ومن معاني « الدين » أيضاً : السلطة العليا، والقانون، كما في قوله تعالى :

ــ ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (٧٦:١٢).

علمي ـــ لم يرد في السنة ؛ وإنما الذي ورد كثيراً في القرآن الكريم وفي السنة النبوية هو الربط بين الدنيا والآخرة ، باعتبار الأولى هي مجال العمل بالمنهج والثانية هي محل الجزاء وجني الثمار الحلوة أو المرة .

### ثانياً : أهمية العقيدة

**١٢** ـــ « العقيدة » ـــ أياً كان مضمونها ـــ ضرورة فِطرية لكل إنسان ، لأنها هي المحرك الذي يدفعه إلى العمل في حياته ، إذ ما لا يعتقده الإنسان لا يتحرك له . فإذا لم توجد عقيدة صحيحة حدث فراغ في الفطرة فلا بد أن يملأ بأي معتقد آخر مهما كان زيفه . وهذا سر ما نراه من استمساك أصحاب المعتقدات الزائفة والضالة بمعتقداتهم وغيرتهم عليها وتضحياتهم في سبيلها .

**١٣** ـــ و « العقيدة » الإسلامية تتضمن الإيمان بأسمى حقيقة في هذا الوجود ، وهي الإيمان بالله تعالى ، ومنها ينبثق أسمى منهج وأكمل تصور لحقيقة الكون وحقيقة الإنسان ورسالته في هذه الحياة ؛ ومن هنا تكون هذه العقيدة ـــ بمفهومها الصحيح ـــ ضرورة للإنسان لكي يكون إنساناً حقاً ويحيا حياة إنسانية كريمة فرداً كان أو جماعة صغيرة أو كبيرة . وليس هناك من بديل أو عِدْل لهذه العقيدة الإسلامية . وفقدانها من حياة الإنسان ـــ فرداً أو أمة ـــ يعني الضلالة والضياع والشقاء في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

**١٤** ـــ فالكفر بالله تعالى ـــ أو الشرك به ـــ لا يثمر خيراً أبداً ، قال تعالى :

ـــ ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن

قَرَارٍ ﴾ (١٤:٢٦) .

— ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢٢:٣١) .

— ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (٢٠:١٢٤) .

هذا هو المصير مهما ظنّ ذلك المحروم أنه على هدى أو تقدم في حياته :

— ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (١٨:١٠٣ــ١٠٥) .

**١٥** ــ وبدون العقيدة الصحيحة هذه ينحط الإنسان إلى درك أدنى من منزلة الحيوان ، مهما زاد نصيبه من عرض هذه الحياة الدنيا ملكاً وتمتعاً . قال تعالى :

— ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (٧:١٧٥–١٧٩).

ومن أجل هذه الأهمية للعقيدة كان واجباً على كل مسلم أن يُعنَى كل العناية بدراسة عقيدته: أصولها ومصادرها ومكوناتها وخصائصها وسماتها التي تميزها عن أية عقيدة أخرى ثم الشُّبَه وضروب التشويه التي ألصقها الأعداء بها عبر عصور الصراع بين عقيدة الحق وعقائد الباطل.

وهذه الصفحات مدخل ميسر إلى هذه القضية. وسوف يأتي مزيد تفصيل لبيان أهمية العقيدة في حياة المسلم. ( انظر : الفصل الثاني، فقرات ٩٤ وما بعدها ).

## ثالثاً: مصدر العقيدة وخصائصها

### ١٦ ـ العلم لا التقليد:

لما كانت العقيدة الصحيحة بهذه المثابة من الأهمية والحيوية والفاعلية في حياة البشر جميعاً، كان من الضروري أن تُستسقَى من مصادرَ موثوقٍ بها، وأن ترتكز على أصول تقبلها العقول السليمة وتنسجم مع الفطرة السوية، وأن تكون من البساطة والوضوح بحيث تستطيع العقول استيعابها دون عَناء.

**١٧** ـــ لهذا كان فرضاً ـــ في الإسلام ـــ أن « يَعْلَم » الإنسان أصل عقيدته ، ولا ينفعه فيها التقليد للآخرين . ويكفيه لتحصيل هذا العلم أن يوجه ما لديه من وسائل العلم : الحواسّ والعقل إلى النظر فيما حوله من مخلوقات أو في نفسه حتى « يعلم » علماً بدهياً لا يتطلب برهاناً أن هناك « خالقاً » واحداً لكل ما في هذا الكون ومن فيه ، وأن هذا « الخالق » ليس أحد هذه المخلوقات ، بل هو غيرها ، وهو أعظم منها ، وتفرض صنعتُه في مخلوقاته أن يكون متّصفاً بكل كمال ، بريئاً من كل نقص ، وذلك بدليل ما نراه في كل ما حولنا من وَحدة في الخلق وكمال في التناسق والدقة والأداء ، ومن حكمة ورحمة وعلم في أسمى درجات الكمال . وهذه البَدَهية يقبلها ويدركها كل ذي عقل سويّ ، ما لم يعطّل عقله ويلغيه ويقلد سواه تقليداً أعمى ، أو يغالط ويجحد ـــ عامداً ـــ نور الحق المبين .

**١٨** ـــ إذا ثبت هذا الأصل ، كان سهلا على العقل بعد ذلك أن يدركَ ويقبل ما ينبني عليه من قضايا أخرى في العقيدة ، كوجود مخلوقات أخرى كالملائكة والجن ، وأن هذا الكون لم يخلق عبثاً بل لحكمة وغاية ، وأن للإنسان ـــ بل لكل مخلوق ـــ رسالة ومهمة في هذه الحياة سوف يسأله عنها خالقه ، وأن هناك حياةً أخرى بعد هذه الحياة ... إلى آخر ما سيأتي ذكره بالتفصيل .

**١٩** ـــ فإذا طلب العقل ـــ بعد ذلك ـــ شيئاً من التفاصيل عن قضايا العقيدة ، خاصة ما كان منها « غيبياً » لا يقع في نطاق الحواس ، أو العقل المعتمد عليها ، فسبيلها ما بيَّنه الخالق ـــ الذي آمن به ـــ في وحيه وعلى ألسنة رسله . وقد أقام الخالق سبحانه من البراهين القاطعة ما يثبت صدق أولئك الرسل ، فكان لكل رسول معجزة أو

معجزات تثبت ــ بلا شك ــ صدق دعواه أنه مرسل من الله ، ولا يجحدها بعد ذلك إلا مكابر أو ذو هوى ظالم :

ــ ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (٢٧ : ١٤) .

ــ ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٦ : ٣٣) .

**٢٠** ــ فإذا آمن بأصل العقيدة بشهادة عقله المنتزعة من الكون ، وبتفاصيلها من الوحي الذي قام عنده الدليل على صدقه ، انفتح أمامه الباب ليتلقى ــ في ثقة ــ تفاصيل المنهج الذي أنزله الله له ليحكم به حياته ويؤدي به رسالته ، معتبراً قبول هذا المنهج والالتزام به في إخلاص ثمرة لازمة لإيمانه بتلك العقيدة .

**٢١** ــ من هنا تميزت العقيدة في الإسلام بالبساطة والوضوح والفطرية والعملية والموضوعية والواقعية ؛ فليس فيها تعقيد ولا غموض ولا تعارض مع الفطرة . وليست نظرية خيالية تتأبّى على التطبيق ولا هي من تصور فرد معيّن من البشر ، ولا هي مثالية مجردة مبتوتة الصلة بالواقع : واقع الإنسان والحياة . وهذا ما سوف يظهر بوضوح فيما سيجيء من تفاصيل .

وكل عقيدة تنقصها هذه المزايا إما باطلة من أساسها ، أو دخل عليها التغيير والتحريف والتشويه على أيدي الناس جهلا أو تآمراً .

# الفصل الأول
# أركان العقيدة

* الإيمان بالله تعالى :
  - وجوده تعالى
  - وحدانيّته
  - ربوبيّته
  - ألوهيّته
  - حاكميّته
  - صفاته



**٢٢** ــ حدَّد رسول الله ﷺ هذه الأركان في حديثه الصحيح المعروف بـ « حديث جبريل » فقد سأله جبريل عليه السلام : « فأخبرني عن الإيمان ! » فأجابه رسول الله ﷺ بقوله : « الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » . وقد أكّد جبريل كمال هذا التحديد للإيمان وصدقه حين قال ــ معقباً على جواب الرسول ﷺ ــ : « صدقت » .

فأركان العقيدة ــ أو الإيمان ــ إذاً ستّة ، هي :

١ ــ الإيمان بالله تعالى ٢ ــ الإيمان بالملائكة ٣ ــ الإيمان بالكتب السماوية ٤ ــ الإيمان بالرسل عليهم السلام ٥ ــ الإيمان باليوم الآخر ٦ ــ الإيمان بالقدر خيره وشره .

وإليك بياناً موجزاً لما يجب على المسلم الإيمان به في كل ركن من هذه الأركان الستّة :

## الركن الأول : الإيمان بالله تعالى

**٢٣** ــ الإيمان بالله تعالى هو الأساس لكل ما بعده من أركان العقيدة ، وهو الأساس للدين كله ؛ ومن هنا وجب على المسلم أن يُعنَى كل العناية بفهم قضية الإيمان هذا فهماً صحيحاً مستوفىً ، وأن يعمل بكل الوسائل على ترسيخه في قلبه وعقله .

ويتضمن الإيمان بهذا الركن عدة جوانب لا يتم إلا بمعرفتها والتصديق بها ، وهي : وجوده تعالى ووحدانيته وربوبيته وألوهيته وحاكميته . وإليك التفصيل :

**٢٤ ـــ الجانب الأول : الإيمان بوجوده تعالى[٣] :**

وهذه حقيقة بدهية فطرية لا تحتاج إلى بحث طويل للوصول إليها . فوجود هذا الكون أعظم شاهد ودليل على وجود الخالق ، بل على ما هو أبعد من مجرد الوجود : على وحدانيته وكماله في كل صفاته وأفعاله التي نرى آثارها في الكون وفي أنفسنا . وإنما كانت دلالة الكون على وجود الخالق وعلى كمال صفاته بدهية فطرية لأن أي عقل سوي يرفض ـــ دون حاجة إلى دليل ـــ فكرة أن يوجد مخلوق ليس له خالق ، أو مصنوع ليس له صانع ، أو موجود ليس له مُوجِد . إنه يرفضها في أبسط الأشياء ، فكيف يقبلها في شأن الكون المفعم بالعجائب والأسرار ؟!

**٢٥** ـــ إذا رأى إنسان حفرة في طريق لم تكن موجودة بالأمس ، أو رأى بيتاً جديداً قد أقيم ، أو طريقاً جديداً قد عُبِّد ، لم يكن أي منهما موجوداً في العام الماضي مثلا ، هل يشك لحظة في أن هناك من حفر الحفرة أو أقام البيت أو عبَّد الطريق؟ وأن كل واحد من هذه الثلاثة احتاج إلى قوة وقدرة وإرادة وعلم وخبرة وأن وراء إقامته في هذا المكان وبشكله الخاص حكمة وغاية؟! فكيف إذا تعلق الأمر بأعظم من ذلك كوجود النباتات أو الحيوانات أو وجود الإنسان أو بما هو أكبر من ذلك كوجود السموات والأرض بما ينطوي عليه ذلك كله من حكيم الصنع والتنسيق والإتقان والاستمرار ؟!

**٢٦** ـــ من هنا ـــ ومن منطلق احترام عقولنا ـــ نرفض بشدة كل قول أو مبدأ يتعارض مع هذه البدهية الفطرية ، كالقول بأن الكون خلق « صُدفة » ، أو أن أي شيء مما يقع فيه يتم بالصدفة ، لقد أثبت

---

(٣) راجع : وجود الله . د . يوسف القرضاوي .

العلماء ، من غير المسلمين ، استحالة هذا الأمر علمياً[٤] .

كما نرفض المبدأ القائل بأن « الطبيعة » هي التي أوجدت هذا الكون ، لأن كلمة « الطبيعة » — هنا — غامضة ولا معنى لها . فإن كانت هي الكون نفسه أو شيئاً من صفاته فكيف يخلق الشيء نفسَه أو يخلق الجزءُ الكلَّ ؟! وإن كانت شيئاً غيرَ الكون وغيرَ مخلوق ، وله كل هذه القدرة على خلق هذا الكون البديع ، فهذا هو « الخالق » الحقيقي ، و « الله » وإن سمَّاه المغالطون بأي اسم آخر .

كذلك نرفض الأفكار السطحية التي تَدَّعي أن الله غير موجود بدليل أننا لا نراه ، لأن عدم رؤيتنا لشيء ما ليس دليلا — أبداً — على أنه غير موجود ؛ وكذلك عدم إدراكنا له بأي من حواسنا الأخرى من سمع وبصر ولمس وشمّ وذوق ليس دليلا على عدم وجوده ، إذ لا يستطيع أحد أن يدَّعي أن حواسه قادرة على إدراك كل شيء حتى مع التقدم الهائل في أجهزة تقوية الحواسّ من مناظير ومجاهير ووسائل تنصّت أو تصوير حساسة للغاية . فضلا عن أن هذا يتنافى مع بدهية دلالة الخلق على وجود الخالق وصفاته ، وهي أقوى .

**٢٧** — إدراك أن الله موجود أمر ميسور للعقول كما اتضح مِمَّا سبق ، وكذلك إدراك كمال صفاته من كمال صنعته في مخلوقاته . أما إدراك كُنْه ذاته وحقيقتها وكيفيتها فهذا فوق نطاق عقولنا وقدراتها . ولهذا أكثر القرآن من توجيه أنظارنا إلى ما في الكون وإلى أنفسنا وأمرنا بالتدبر

---

(٤) راجع في استحالة وجود الكون على أساس الصدفة كتاب :
العلم يدعو إلى الإيمان . تأليف : إ . كريسي موريسون ، ترجمة : محمود صالح الفلكي ( مكتبة النهضة المصرية ) من ص ٥١—٥٩ ، ١٩٣—١٩٦ .

فيها ، كما نهانا رسول الله ﷺ عن التفكر في ذات الله ووجهنا إلى التفكر في المخلوقات والنعم لنتبين عظمة الخالق .

**٢٨ ــ الجانب الثاني : الإيمان بوحدانيته تعالى**[٥] :

وهذه ــ كأمر وجوده تعالى ــ حقيقة بدهية فطرية واضحة لا يصعب على العقول إدراكُها ، لأن الكون المشاهد كما دلَّ على وجوده عز وجل يدل على وحدانيته ، إن وَحدة الكون والقوانين التي تسيّره وما نراه بينها من إنسجام دلائل على وَحدة الخالق والمدبّر والمهيمن ، إذ :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا .. ﴾ (٢١:٢٢) .

ثم إن فرض تعدد الآلهة والخالقين لا معنى له ، بل هو دليل على نفي الألوهية الحقيقية عن كل الآلهة : فالحاجة إلى الآخر نقصٌ ، ووجود الآخر دون حاجة إليه عبثٌ ، وكِلا الأمرين يتنافى مع معنى الألوهية وحقيقتها :

ــ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (١٧:٤٢ــ٤٣) .

ــ ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٢٣:٩١) .

**٢٩** ــ للوحدانية أبعاد يجب إدراكها والإيمان بها :

أ ــ وحدانية الذات : أي أنه تعالى واحد أَحَدٌ لا شريك له ولا مِثل

(٥) راجع : حقيقة التوحيد . د . يوسف القرضاوي .

له ، وليست ذاته مركبة من أجزاء .

ب ــ وحدانية الصفات : أي أن صِفاته عز وجل خاصةٌ به لا يشاركه سواه في شيء من حقيقتها ، وإن حمل المخلوقون أسماء مشابهة لأسمائها .

ج ــ وحدانية الأفعال : أي أن أفعاله عز وجل لا يشبهها ــ على الحقيقة ــ فعل لغيره ؛ فأفعاله ــ كصفاته ــ مثل ذاته ليس لها مثيل أو شبيه :

ــ ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (٤٢ : ١١) .

ــ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (١١٢) .

**٣٠** ــ ضلّت أمم كثيرة في الماضي والحاضر ، بدائيين ومتحضِّرين ، فاعتقدوا بأمور تشوّه صفاء الوحدانية بأبعادها الثلاثة : الذات والصفات والأفعال ؛ فمنهم من قال بالتثنية أو بالتثليث أو التعدد في الآلهة ؛ ومنهم من جعل لله ــ تعالى ــ ولداً أو زوجة ، أو قال بحلول الله في الكون أو باتحاده معه ، أو حلوله في بعض صور المخلوقات كلياً أو جزئياً ؛ ومنهم من نسبوا إلى بعض المخلوقين ــ أو الأشياء ــ بعضاً من خصائص الخالق كالعِصمة المطلقة من الخطأ والجهل والنسيان ومن معرفة الغيب أو التأثير المستقل في أمور الكون كلها أو بعضها بعيداً عن قانون الأسباب والمسببات وعن إطار « المعجزات » الخاصة بالرسل والتي هي من أمر الله وبإذنه وقدرته ولا يملك من تقع لهم من الرسل ــ ولا غيرهم من باب أولى ــ إحداث شيء منها بقوتهم أو

إرادتهم ، بل إنهم لا يعلمون عنها شيئاً إلا حين تقع لهم .

**٣١** ـــ هذه الصور الكثيرة من تشويه مبدأ الإيمان بوحدانية الله تعالى قد جسدتها فِرَق ومِلَل ونِحَل كثيرة قديماً وحديثاً ، اختلفت في الأسماء ، وادَّعى كل منها لنفسه فلسفة يبرّر بها هذا التزييف ويحسّنه حتى يخدع به البسطاء والعامة ، وكُتِب لبعضها الرواج حتى آمن به الملايين ، وفيهم بعض أهل الفكر والعلم ممن أعمى التقليد بصائرهم ففصَلوا تماماً بين عقولهم المفكرة والمتميزة في علوم الدنيا ومعتقداتهم الموروثة والقائمة على الأباطيل والضلالات .

ونظراً لخطورة هذه التصورات المنحرفة وآثارها السيئة في إضلال البشر وتعويق مسيرة العقيدة الصحيحة ، سوف نفرد فصلا خاصاً ـــ بعد استيفاء مباحث العقيدة ـــ لبيان تلك الإنحرافات وبواعثها وصنوفها وآثارها وموقف الإسلام منها وواجب المسلم تجاهها . ( انظر الفصل الثالث ) .

**٣٢ ـــ الجانب الثالث : الإيمان بربوبيته تعالى :**

أي الإيمان بأن الله هو رب هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه : هو الذي خلق فسوّى ، وهو الذي قدّر فهدى ، وهو الذي يسَّر أسباب الرزق ، وهو الذي يحكم الكون ويحفظه بجملته وتفاصيله ، وله ـــ إن شاء ـــ أن يغيره أو يهلكه .

ومن مظاهر الربوبية البادية في كل شيء في الكون تظهر لنا آثار صفات الله عز وجل من علم وحكمةورحمة ولطف وإرادة وقوة

وهيمنة ... إلى آخر الصفات ( أو الأسماء الحسنى )[٦] .

**٣٣** ــ وللربوبية معان وإطلاقات عديدة تدور حول إسناد الأمر كله لله بدءاً ونهاية وتصرّفاً .

فالله هو المربي والكفيل والمتعهّد بالتنشئة والتربية والتوجيه وإصلاح الحال ،

وهو السيد « الصمد » الذي يَلتجئ إليه ويحتاج إليه كلّ ما سواه ،

وهو الحاكم ذو السلطان والتصرف والحُكْم النافذ على الجميع .

وما أكثرَ الآياتِ القرآنيةَ التي تَلفت الأنظار إلى هذه الجوانب من الربوبية ، سواء أسندتها إلى لفظة « الرب » أو إلى لفظة الجلالة : « الله » :

ــ ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾

(٢٦ : ٧٥ ــ ٨١) .

ــ ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (٣٥ : ١٣) .

---

(٦) من المشهور أن أسماء الله الحسنى ٩٩ ، وقد نص على ذلك حديث متفق عليه ، كما وردت نصوص بأسماء أخرى أكثر من هذا العدد . ( راجع : رسالة العقائد . الإمام البنا ) . والأولى التوقف عند ما وردت به النصوص الثابتة منها . « الله » هو الاسم ، أما باقيها فصفات ؛ ولما كانت « الصفة » تدل على الذات أيضاً فقد صحّ أن تسمى « اسماً » وأن تستعمل استعماله ، فنقول : عبد الله ، وعبد الرحمن ( أي : عبد الله الرحمن ) وهكذا ...

ـــ ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥:١٧).

ـــ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (١٠:٣١ـــ٣٢).

( راجع مادتي : رب . الله ، في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وفي المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . وراجع أيضاً : المصطلحات الأربعة في القرآن ، لأبي الأعلى المودودي ) .

**٣٤** ـــ وكلما ازددنا نظراً وتدبراً في الكون وفي أنفسنا ازددنا فهماً لآثار صفات الله عز وجل التي هي مجالي ربوبيته تعالى ، وازددنا ـــ بالتالي ـــ إدراكاً لعظمة هذه الصفات وكمالها فازددنا علما بالله تعالى ـــ ربّاً وإلهاً ـــ وازددنا له تعظيماً وخشية وحُبّاً :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (٣٥:٢٨).

**٣٥** ـــ وإفراد الله تعالى وحده بهذه الربوبية يسمى « توحيد الربوبية » ، وهو من أجلّ صور « التوحيد » الذي هو محور العقيدة الإسلامية .

ونظراً لظهور اختصاص الله سبحانه وتعالى بصفات الربوبية وأفعالها

وعدم استساغة العقول إسناد شيء منها لغير الله على الحقيقة ، كان المشركون لا ينكرون ذلك ، بل يعترفون به كما سجل القرآن الكريم ذلك عليهم :

ـــ ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (٢٣ : ٨٤ـــ٨٩) .

**٣٦** ـــ لكن هذا الوضوح والإقرار لم يمنع أن تشهد مختلف الأزمنة والبيئات جماعات ضالة مضلّة نَسبَت ـــ جهلا أو افتراءً ـــ بعض مظاهر الربوبية لغير الله تعالى ، وتوجهوا إلى تلك الأرباب المزيفة بألوان من العبادة التي لا يجوز تقديمها إلا لله عز وجل وحده . وهذا ـــ ولا ريب ـــ لون من الشرك لا تزال بعض أشكاله قائمة ومتداولة حتى يومنا هذا تحت مسميات متعددة . والمسلم العالم بِقَدْر ربّه سبحانه يجب أن يعيَ ذلك ويحذرَه ويبرأ منه ويحاربه بمنهج الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

**٣٧ ـــ الجانب الرابع : الإيمان بألوهيته تعالى :**

التسليم بوجود الله تعالى ووحدانيته وربوبيته يؤدي إلى الإقرار له وحده عزّ وجلّ بالألوهية . والألوهية صفة للربّ سبحانه تقتضي من المؤمنين بها أن يتوجهوا إليه عز وجل حباً وتعظيماً ورغبة ورهبة وخضوعاً وعبادةً وطاعةً ؛ وهذه هي « العبودية » منّا لله رب العالمين .

٣٨ ــ والعبودية ــ التي هي مقتضى الألوهية ــ يقصد بها هنا « العبودية الخاصة » الاختيارية التي ينبعث إليها المؤمنون من البشر بمحض اختيارهم ليعبروا بها عن إيمانهم بربهم وتعظيمهم له سبحانه وانقيادهم لمنهجه.

وهذه غير « العبودية العامة » التي عليها أهل السموات والأرض كلهم، ملائكة وجناً وإنساً، مؤمنهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم، فهذه عبودية القهر والملك والتسخير. قال تعالى:

ــ ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ (٩٣:١٩).

ــ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (١٧:٢٥).

بل إن هذا الضرب من العبودية القهرية هو حال الكون كله حتى حيوانه ونباته وجماده: الكل يخضع لقوانين الله وسننه لا يملك عنها خروجاً:

ــ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ (١٥:١٣).

ــ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (١٨:٢٢).

ـــ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١٧: ٤٤).

٣٩ ـــ وهذه « العبودية الاختيارية » كما تكون في الاعتقاد والشعور تكون في العمل والسلوك سواء أكان ذلك في صور الشعائر التعبدية من صلاة وصيام ونحوها أو في صور الاحتكام إلى شريعة الله في كل شأن من شؤون الحياة. وهذا كله ـــ في اصطلاح القرآن الكريم ـــ « عبادة » ؛ و « العبادة » هي الغاية من الخلق:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥١ ـــ ٥٦).

والإقرار لله وحده بالألوهية والتوجه إليه وحده بالعبودية ـــ أو العبادة ـــ هو ما يعرف بـ « توحيد الألوهية » وهو قمة صور التوحيد ومقصوده.

ولعل هذا هو السر في اختياره ليكون مضمون الجزء الأول من جزئي « الشهادة »: ( أشهد أن لا إله إلا الله )، كما نلمحه واضحاً في ذلك الترتيب المعجز في سورة الناس:

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾.

٤٠ ـــ إن « توحيد الألوهية » هو محكّ الاختبار لصدق العبد في إيمانه، وذلك لأن فيه التكاليف التي تتطلب من العبد المؤمن طاعة

والتزاماً وصبراً وتحملا وتضحية وبذلا ومغالبة للنفس والهوى والشيطان . وبسبب هذا كان جُلّ انحرافات البشر عن صراط الله المستقيم واقعاً في هذا المجال . فقد يقرّون له سبحانه بالوجود والوحدانية والربوبية ، ولكنهم ــ عند ممارسة الحياة ــ يتمردون على منهج شريعته وأحكامها ويتوجهون بطاعتهم وعبادتهم إلى غيره رَغَباً ورَهَباً ، أو يتخذون من أنفسهم ومن أهوائهم آلهة يخضعون لأمرها ونهيها :

ــ ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ .. ﴾ (٢٣:٤٥) .

ومن أجل هذا الخلل في نطاق « العبودية » أو في « توحيد الألوهية » كانت دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم تبدأ بطلب التصحيح في هذا المجال ، فكان كل منهم يدعو قومه أولا :

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾

(٧٢:٥ ؛ ٧:٥٩،٦٥،٧٣،٨٥) .

ــ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢١:٢٥) .

ــ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (١٦:٣٦) .

**٤١** ــ وأكبر منكر وخلل في حياة البشرية اليوم ــ بعد أن تداخلت وتعارفت ــ هو تنحية شرع الله وأحكامه والحكم بقوانين البشر وتعبيد الشعوب لغير الله تحت مسميات خدّاعة من « علمانية » و « ديمقراطية » و « حرية » و « ليبرالية » .. الخ. وما هي إلا صور من الكفر والشرك انتهت إليها شعوب الغرب تحت إغواءات الشياطين ونتيجة لما عانته في العصور الوسطى من تسلط رجال الكنيسة وسوء استغلالهم للناس باسم الدين الذي حرَّفوا مبادئه وقيمه وأحكامه حسب أهوائهم.

**٤٢** ــ ولقد اعتبر رسول الله ﷺ طاعة غير الله في تحليل أو تحريم ــ خلاف ما شرع الله ــ بمثابة اتخاذه « ربًّا » وعبادته مع الله أو من دون الله ، وذلك حين فسَّر لعدي بن حاتم الطائيّ ــ وكان نصرانياً ثم أسلم ــ قوله تعالى عن اليهود والنصارى :

﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٩:٣١).

(راجع كتب التفسير ، مثل : ابن كثير أو في ظلال القرآن للوقوف على شبهة عدي بن حاتم وتفسير الرسول ﷺ الآية له ).

**٤٣ ــ الحاكمية :**

شاع في الكتابات الإسلامية في العصر الحاضر مصطلح « الحاكمية »، وهو مصطلح مستحدث ( مصدر صناعي من

« الحاكم » عَلَماً على الله سبحانه وتعالى الذي له ــ وحده ــ الحكم ).

والأصل في معنى « الحاكمية » أن يقرّر أن لله عز وجل ــ وحده ــ حق الحكم والتشريع لخلقه كما تفرّد بخلقهم:

ــ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٧:٥٤).

ــ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ (٦:٦٢).

وهذا التشريع يشمل تحديد الحلال والحرام والأوامر والنواهي كما يشمل تقرير القواعد والأصول التي يجب أن تحكم حياة البشر، فالبشر جزء من الكون، والله وحده هو الذي وضع القوانين والسنن التي تحكم حركة الكون كله.

« الحكم » ــ كمصطلح شرعي ــ له إطلاقات عدة، يهمنا منها ــ هنا ــ ما يأتي:

أ ــ « الحكم » ــ عند علماء أصول الفقه ــ يعني « طلب الشارع من المكلف فعل شيء ( وجوباً أو ندباً) أو ترك فعله ( تحريماً أو تكريهاً ) أو تخييره بين الفعل والترك ( إباحة ) » . وهذا الطلب يتمثل في نص شرعي ( قرآن أو سنة ) أو في إجماع أو قياس مستند إلى النص الشرعي؛ مثال ذلك: وجوب الصلاة وتحريم الزنا .. الخ ( وهذا المعنى هو الذي يختص به ــ عز وجل ــ وحده)

ب ــ « الحكم » ــ عند الفقهاء ــ هو « الوصف الشرعي لفعل المكلف بناء على طلب الشارع ... )، فيقولون: الصلاة واجبة، والزنا حرام .. الخ، ( أصول الفقه الإسلامي . زكي الدين شعبان

ـــ مط / جامعة الكويت ، ص ٢١٧ــ٢٢٢ ) .

جـ ـــ « الحكم » القضائي ، أي أن يصدر القاضي ـــ المعينُ من الحاكم والمؤهَّل لهذا العمل ـــ حكماً قضائياً شرعياً على فعل معين صدر من مكلف ؛ ويترتب على هذا الحكم آثار قانونية كعقوبة ونحوها ، يقوم جهاز التنفيذ في الدولة بتنفيذه .

ويشبه هذا « الفتوى » التي تصدر من مجتهد على فعل معين لمكلف طلب الفتوى ، لكن « المفتي » لا سلطة له للتنفيذ ، وإنما يُترَك التنفيذ لضمير المكلف وإحساسه بالمسؤولية أمام ربه .

د ـــ « حكم » الله يوم القيامة على أفعال البشر طبقاً لعلمه سبحانه وترتيب الجزاء ـــ ثواباً وعقاباً ـــ على هذا الحكم . وهذا المفهوم لا علاقة للبشر به ، كما أنه لا يؤثر في أحكامهم في هذه الحياة .

وعلى هذا ، فالمقصود بالحاكمية ـــ أو أن « الحكم » لله وحده ـــ فيما يتصل بالحياة الدنيا ، هو المفهوم (أ) فقط ، أما (ب) و (جـ) بشقيه ( القضاء والفتيا ) فهو عمل « الفقهاء » و « القضاة » و « المفتين » طبقاً لاجتهادهم فيما ثبت عندهم من أحكام الله ؛ وهذا الاجتهاد قد يصيب فيكون هو حكم الله ، وقد يخطئ . والذي يعلم ـــ على القطع ـــ أن الحكم أصاب أو أخطأ هو لله عز وجل ، ومن ثمَّ فهو الذي يعطي المصيب أجرين والمخطئ ـــ غير المتعمد ـــ أجراً واحداً .

ويترتب على ذلك أمور :

١ ـــ ليس من حق أحد أن يدعي أن له ـــ أو لغيره ـــ حقاً في

« الحكم » بالمعنى الأول ، فيحلل أو يحرم أو يشرع على خلاف ما شرع الله .

٢ ــ لكل مسلم عنده علم صحيح حق في الحكم على الأفعال المجردة في حدود ما يعلم ، وذلك كطريقة الفقهاء أما الحكم على فعل معين صدر من مكلف معين فليس له ذلك إلا إذا كان من أهل الفتيا واستفتي ، أو كان من أهل القضاء .

« الحاكمية » ــ بهذا المفهوم المحدد ــ مبدأ صحيح ونتيجة لازمة للإقرار بربوبية الله عز وجل وألوهيته . ويتفرع عن ذلك وجوب الإيمان بأن شريعة الله وحدها هي الحق ، وفيها ــ وحدها ــ الهدي الذي تستقيم به حياة الخلق ، فالخالق هو صاحب الحق في التشريع لمن خلق وهو العليم بما يصلحهم :

ــ ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١٠ : ٣٥) .

كما يتفرع على ذلك أن كل تشريعٍ من عند غير الله ــ مخالف لما شرع الله ، من قواعد أو مقاصد أو أحكام ــ إنما هو باطل وظلم ولا يؤدي إلا إلى الفساد في الأرض والشقاء للخلق :

ــ ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (٢٠ : ١٢٤) .

ــ ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (٥:٤٩).

**٤٤** ــ إذا كان الأمر كذلك، فما حكم من أنكر شرع الله أو جحده أو اعتقد عدم صلاحيته للحياة أو عدم وفائه بحاجات الناس في أي زمان أو مكان أو بيئة، أو اعتقد أن تشريعات غير الله أفضل أو أصلح من تشريع الله، ما حكم من اعتقد هذا وأصرَّ على اعتقاده؟! هل هناك مكان مع هذا الاعتقاد لبقاء إيمانه بالله واعتقاده بوجوده تعالى ووحدانيته وربوبيته وألوهيته؟!

إن من يعتقد تلك المعتقدات المنافية صراحة لحقيقة الإيمان ولجوهر العقيدة الإسلامية يدخل إلى دائرة الكفر والشرك الأكبر، ما لم يكن صادراً في ذلك عن جهل أو تأويل فاسد فيعذر بجهله أو تأوله حتى يزولا بالتعليم أو بإظهار فساد التأويل، فإن أصر بعد ذلك على معتقده فهو من الكافرين.

**٤٥** ــ أما فهم بعض المتحمّسين أو المتعجّلين من غير أهل العلم والرويّة مصطلح «الحاكمية» على معنى أن الله قد شرع لعباده كل التفاصيل في مختلف شؤون الحياة، أو أنه لم يأذن لخلقه في وضع القوانين والإجراءات التي ينظّمون بها حياتهم اليومية والعملية من نحو أمور الزراعة والصناعة وتخطيط العمران .. الخ، وأن التقنين لذلك أو اعتماد ما وضعته بعض الأمم في هذا المجال لَمِمَّا يدخل في نطاق «الحاكمية» التي هي حق الله تعالى وحده، مثل هذا الفهم غير صحيح وبعيد عما تدل عليه نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وقواعد الشريعة ومقاصدها وحِكَمِها؛ وهو فهم لم يقل به أحد، ولم يقصده من استحدثوا مصطلح «الحاكمية» هذا في العصر الحاضر.

إن وضع البشر للقوانين والترتيبات التي تنظّم شؤون الحياة فيما لم يرد فيه نص أو توجيه من الله ورسوله ، يقع في دائرة المباح الواسعة التي أذن الله بها لتتحقق المصالح الدنيوية ما دامت التنظيمات لن تصادم مقاصد الشريعة ولا أصلا من أصولها أو حكماً ثابتاً من أحكامها ، ولن تُحدِث مفسدة تُهدّر أيًّا من الضروريات الخمس التي عنيت الشريعة بصيانتها : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ، أو تفوت على الأمة مصلحة راجحة[7] .

**٤٦** ــ نختم مباحث هذا الركن الأول من أركان العقيدة بإشارة إلى ما عرف باسم « قضية الصفات » ، أي صفات الله تعالى ، وهي أسماؤه الحسنى ، التي وردت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من نحو :

ــ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٢٠:٥) .

ــ ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ .. ﴾ (٨٩:٢٢) .

ــ ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٤٨:١٠) .

ــ ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا .. ﴾ (١١:٣٧) .

إلى غير ذلك مما قد يوهم تشبيهاً لله بخلقه أو تكييفاً أو تجسيماً .

**٤٧** ــ ومنهج القرآن والسنة ومذهب السلف الصالح في ذلك هو أن نؤمن بكل ما جاء به الوحي من صفات الله عز وجل ، نثبتها له تعالى كما أثبتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ دون زيادة أو نقصان ، ونفهمها في إطار

---

(٧) الهضيبي ، دعاة لا قضاة (١٩٧٧) ص ٦٣ــ١٠٧ .

ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (٤٢ : ١١)

وذلك نفياً لخواطر التشبيه والتجسيم والمماثلة ، كما نحذر أن نقع ـ تحت تأثير الرغبة في كمال التنزيه لله سبحانه ـ في نفي أيٍّ من صفاته تعالى أو تأويلها تأويلا ينتهي بنا إلى نفيها ، إذ كيف يجوز لمؤمن أن ينفي أو يعطّل ما أثبته الله عز وجل لنفسه ؟!

إن منهج وحي الله علّمنا ودعانا إلى أن نتفكّر في روائع آثار صفات الله في أنفسنا وفي الكون من حولنا ، وأن نتجنب الجدل حولها ؛ فنفهم معناها طبقاً لقواعد اللغة ، ولكننا نكل حقيقتها وكيفها إلى علام الغيوب ، وذلك كما نَهَج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم حين قالوا في :

ـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

« الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر » ؛ « ولا يقال : كيف ، والإقرار به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . روي هذا عن أم سلمة وعن مالك ـ رضي الله عنهما ـ وعن غيرهما من السلف الصالح[٨] .

وكل ميل عن هذا الفهم المأثور عن السلف الصالح في قضية الصفات يعتبر « إلحاداً » أي زيغاً في فهم أسماء الله تعالى وصفاته أمرنا ربُّنا بتجنُّبه وتجنّب أهله :

ـ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٧ : ١٨٠) .

---

(٨) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٤٠٥ـ٤٠٧ .

٤٨ ــ موقف السلف هذا أسلم . وهناك « الخَلَف » الذين رأوا أن القول بأخذ هذه الصفات والتعبيرات كما هي ، حتى مع اجتناب البحث في الكيف ، قد يوقع بعض المسلمين ، من غير أهل العلم ، في مزالق التشبيه والتجسيم والتمثيل ؛ ولهذا ذهب « الخَلَف » إلى ضرب من التأويل في فهمها يُبعِد هذه الشُّبه كليّةً : فاليد ــ عندهم ــ تفهم بمعنى « القدرة » أو بمعنى « النعمة » ، والوجه بمعنى الذات ، والعين أو الأعين بمعنى العناية والرعاية والحِفظ . وهذا المنهج في الفهم يماثل تأويل « المكر » المسند إلى الله تعالى في قوله :

ــ ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٣:٥٤)

بأنه التدبير القوي الذي يحبط مكر الكافرين وكيدهم . وهذا الضرب من « التأويل » ــ الذي لا يقصد به « تعطيل » الصفات أو « نفيها » ــ لا يعتبر « إلحاداً » ولا إنحراف في فهم أسماء الله تعالى ، بل هو اجتهاد قصد به أصحابه تحقيق الغاية المنشودة ، وهي تنزيه الحق سبحانه ، التي هي غاية السلف أيضاً من قولهم . ومن هنا كان الحق ألا نرمي « الخَلَف » أو من يقول بمذهبهم بكفر أو فسوق ، وإن كان الأولى التزام مذهب « السلف » في هذه القضية لأنه أسلم . أما من قالوا بالتشبيه أو بالتعطيل فخروجهم عن منهج الحق واضح ، ورفض مذهبهم هو الصواب .

**الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :**

**٤٩** ــ الملائكة خلق من خلق الله تعالى مكرّمون ؛ وهم جزء من الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ، فنقف في معرفتنا بهم عند ما أخبرنا به الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ــ ﷺ ــ في الصحيح من

سنته . ومن هذين المصدرين علمنا أنهم :

ـ خُلقوا من نور . ( في حديث أخرجه مسلم : جامع الأصول ج ٤ حديث / ٢٠١٠ ) .

ـ لهم أجنحة (١:٣٥) .

ـ ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦:٦٦) .

ـ منهم « الحَفَظة » : الموكَّلون بحفظ البشر (١١:١٣) .

ـ ومنهم « الكرام الكاتبين » لأعمالنا . (١٠:٨٢ـ١٢) .

ـ ومنهم «الذين يحملون العرش» والذين حوله . (٧:٤٠) .

ـ ومنهم جماعات وأصناف أخرى لا يعلم عددها إلا الله تقوم بتنفيذ أوامر الله في السموات والأرض ، كنصرة المؤمنين وإهلاك الكافرين والاستغفار للمؤمنين وتفقّد أحوالهم في الليل والنهار . (١٢:٨ ؛ ٧:٤٠) .

ـ ومنهم «جبريل» ملك الوحي و «ميكائيل» (ميكال) و «ملك الموت» و «مالك» خازن النار و «التسعة عشر» الموكلون بـ «سقر» . (٢٦:٧٤ـ٣١) .

## الركن الثالث : الإيمان بالكتب :

**٥٠** ـ نؤمن بأن الله عز وجل قد أنزل على بعض رسله صحفاً وكتباً فيها هدايةٌ لخلقه . وقد ورد في القرآن الكريم أنه تعالى أنزل على إبراهيم « صُحُفاً » (٣٧:٥٣ ؛ ١٩:٨٧) ، وعلى موسى «التوراة» (٤٣:٥، ٤٤، ٤٦) ، وعلى داود « الزبور » (٥٥:١٧) ، وعلى عيسى

« الإنجيل » (٥:٤٦) وعلى محمد « القرآن » خاتمها .

**٥١** ــ يجب الإيمان بأن أصل الصحف والكتب التي أنزلت قبل القرآن كان من عند الله ، وقد حمل إلى الناس وقتئذ ما هم بحاجة إليه من الهدى والنور ، ولكن الناس بدّلوا فيها وغيّروا . أما القرآن الكريم ــ آخرها وخاتمها ــ فقد جاء مصدّقاً لما فيها من حق ومهيمناً عليه وحَكَماً : فما كان فيها موافق لما جاء في القرآن قبلناه وما كان فيها مخالفاً رفضناه . (٥:٤٣ــ٥٠) .

**٥٢** ــ القرآن كلام الله عز وجل ، ليس لبشر فيه حرف أو معنى . ولأنه آخر وحي الله فقد تعهّد الله سبحانه بحفظه ــ دون الكتب السابقة ــ فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (١٥:٩ ؛ ٤١:٤١ــ٤٢) . ولذا بقي نصه كما أنزله الله كاملا غير منقوص في حرف أو صوت ولا مزيداً فيه . أما الكتب الأخرى فقد فقدت أصولها ولم يصلنا سوى ترجماتها إلى لغات غير اللغة التي نزل بها ، ولا يوجد سند يؤكد نسبتها إلى الرسول الذي أنزل عليه . فهي إما منسوبة إلى غيره صراحة ، كالأناجيل ( إنجيل متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا ، برنابا ) ؛ وإما مقطوعة السند ؛ أما القرآن فقد نقل إلينا بالتواتر اللفظي . ومن هنا ــ وهذا ضرب من الإعجاز ــ كان القرآن وحده هو المستحق أن ينسب إلى الله عز وجل ، وهو ــ بالفعل ــ الوحيد الذي ينسب إليه تعالى ، وإليه وحده ينصرف الذهن حين يسمع مصطلح « كتاب الله » .

**٥٣** ــ القرآن أعظم معجزة لإثبات صدق محمد ﷺ وصدق رسالته والله تعالى قد تحدّى الجنّ والإنس جميعاً أن يأتوا بمثله أو حتى

بسورة من مثله ؛ وما زال التحدي قائماً وإلى يوم القيامة ، لكل عصر وبيئة وجماعة . وهو منهج الله الكفيل بهداية البشر جميعاً وإخراجهم من الظلمات إلى النور ؛ فقد أنزله الله ليكون كتابَ هداية وعمل :

ــ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (١٤:١) .

**٥٤** ــ وإعجاز القرآن للخلق متعدد الجوانب ، ولا يتوقف عند حدّ : إعجاز بياني لُغويّ ، وإعجاز تشريعي ، وعلمي ، وإخبار بالمُغَيَّبات التي جاءت وفق ما أخبر به علاّم الغيوب . ولا يزال البشر في كل عصر ومصر يقفون على الجديد من جوانب إعجازه ، وكلما اتسعت آفاق علمهم بأسرار خلق الله ظهر لهم المزيد من عجائب كتاب الله(٩) .

**٥٥** ــ وعلى المسلم أن يؤمن أن كتاب الله لا يمكن أن يتعارض مع سنن هذا الكون وحقائقه الثابتة ثبوتاً قطعياً ؛ إذ من أين يأتي التعارض وكلاهما ــ القرآن والكون ــ من عند الله ؟! ومن هنا ، فإن وصول البشر إلى حقائق علمية جديدة ــ لا مجرد نظريات وتصورات ــ يزيد صدق القرآن الكريم وضوحاً ورسوخاً إذ يقيم عليه المزيد من الأدلة

---

(٩) انظر كتب إعجاز القرآن وأعمال المؤتمرات الخاصة بذلك ، وأشرطة الفيديو للزنداني ولديدات . وليحذر المسلم من المضللين المتسترين تحت دعوى البحث عن إعجاز القرآن ليدسوا افتراءات مبيّتة يشككون بها في كتاب الله عز وجل ، من أمثال المدعو رشاد خليفة صاحب بدعة الإعجاز العددي والرقم ١٩ ( الرقم المقدس عند أربابه البهائيين ) وما موّه به من إسناد مفترياته إلى الحاسوب ( الكمبيوتر ) . وقد افتضح أمره وزيغه حين أعلن أنه توصل بحساباته إلى تحديد يوم القيامة ، وحين هاجم الإمام البخاري رضي الله عنه ، بل وأنكر السنة كلها .

المؤيدة . وصدق الله العظيم :

— ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ .. ﴾ (٤١:٥٣) .

**٥٦** — وإيمان المسلم بالقرآن الكريم على النحو السابق ، وبأنه حق وهدى لا ريب فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يستتبع أن يؤمن بصدق كل ما جاء فيه : أكان إخباراً عن الماضي البعيد أو القريب وما وقع فيهما من أحداث عظام كخلق الكون وما فيه ومن فيه ، أم كان ذكراً لمخلوقاتٍ وعوالم لا نراها كالملائكة والجن وعالم الآخرة بكل ما فيه ، أو كان وعداً للمؤمنين أو وعيداً للكافرين .

**٥٧** — ومن خصائص القرآن الفريدة أنه لا يكون قرآناً ، ولا يُتَعَبَّد بتلاوته في صلاة أو غيرها ، ولا يتحدّى به ، إلا في نصه العربي الذي أنزله الله ووصل إلينا بالتواتر[١٠] . ومن ثم فإن ترجمة القرآن — مهما أُحكمت — لا تُسمّى ولا تعتبر قرآناً ، ولا تكون المصدر الشرعي لاستخراج الأحكام . إن الترجمة ليست أكثر من نقل ما فهمه المترجم من معاني النص القرآني ، مع ما ينطوي عليه هذا من أخطاء المترجم أو قصوره في الفهم أو في التعبير ، ومن الانحراف عن المعنى الصحيح ،

(١٠) وإذا كان الإيمان بالقرآن ، بنصّه المنزّل ، جزءاً من عقيدتنا ، فإن الحفاظ عليه في هذا النص يصبح واجباً تفرضه العقيدة ، والحفاظ على لغته التي هي وسيلة حفظه ومفتاح فهمه يصبح — كذلك — واجباً تفرضه العقيدة . وهذه المكانة للعربية والارتباط الوثيق بينها وبين القرآن هو الذي يفسر لغز كراهية أعداء الإسلام لهذه اللغة وحربهم عليها دون سائر لغات الأرض ، كما أنه يوضح مدى الجرم الذي اقترفه المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، في هذا العصر حين استسلموا لمخطط الأعداء ففرطوا في لغة القرآن على النحو القائم .

بقصد أو بدون قصد ــ ومن القصور الطبيعي للترجمة ــ أي ترجمة ــ عن الأصل، فما بالنا والأصل هنا هو كلام الله المعجز في كل جوانبه ؟!

**الركن الرابع : الإيمان بالرسل :**

**٥٨** ــ إن لله سبحانه أنبياء كثيرين اصطفاهم وربّاهم وأوحى إليهم ليكونوا هداة لأقوامهم . ومن الأنبياء رسل أمرهم ربهم بتبليغ رسالات معينة إلى من أرسلوا إليهم . فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا . قصَّ الله علينا في كتابه بعض هؤلاء ، وهناك آخرون كثيرون لم يقصصهم علينا ، فلم نعرف عنهم شيئاً موثوقاً به .

ذكر القرآن أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء أولهم آدم وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام (٣٣:٣ ؛ ٨٣:٦ ؛ ٦٥:٧،٧٣،٨٥ ؛ ٨٥:٢١ ؛ ٢٩:٤٨) .

ومن هؤلاء خمسة عُرفوا بأنهم « أولوا العزم » لصبرهم العظيم على مشاق الدعوة ، وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام (٧:٣٣) .

**٥٩** ــ يجب أن نؤمن أن الله لم يترك جماعة إلا وبعث فيهم من يهديهم وينذرهم :

ــ ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾

٢٤:٣٥؛ ٤٧:١٠؛ ٣٦:١٦) ، وذلك رحمة منه ــ تعالى ــ وعدلا :

ــ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٦٥:٤) .

ــ ﴿ .. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١٥:١٧).

**٦٠** ــ يجب أن نؤمن بكل الرسل فلا نفرق بينهم ، وأن نعتقد أنهم أفضل الخلق وأكملهم ، وأنهم معصومون ومنزّهون عما يشينهم كمثل عليا وأسوة حسنة لأقوامهم ، وعما يخل بمهمتهم كرسل يبلغون دين الله ؛ ولكنهم ــ كبشر ــ يجوز في حقهم ما عدا ذلك كالسهو والنسيان وفعل خلاف الأولى بالنسبة لمقامهم ، إذ العصمة المطلقة لله وحده . كما يجب أن نُقرّ لهم ، خاصة فيما يتعلق بتبليغ الرسالة ، بالأمانة والصدق والتبليغ والفطانة . وهم في الفضل درجات (٢٥:٢) ، وأفضلهم محمد ﷺ صاحب الرسالة الخاتمة الخالدة والمرسل إلى الناس كافة .

**٦١** ــ يجب أن نؤمن بأن كل أشكال النبوة والرسالة قد خُتمت بمحمد ﷺ فلا نبي ، ولا رسول ، معه ولا بعده ؛ وكل مدّعٍ لنبوة أو رسالة بعده كذاب ، كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي في الماضي ، ومؤسس القاديانية والبهائية وأمثالهم في الحاضر أو في المستقبل .

**٦٢** ــ يجب أن نؤمن بأن الله أيَّد رسله وأقام على صدقهم الأدلة والمعجزات التي لا ينكرها إلا جاحد . وعلينا أن نؤمن بما نُصَّ عليه منها في القرآن أو في السنة الصحيحة ، مثل : ناقة صالح وعصا موسى ويده وشق البحر له ، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يد عيسى ، وغير ذلك مما ثبت وقوعه . وكلها معجزات حسية تقنع من رآها من معاصري الرسول ، وليصدّق بها المؤمنون وإن لم يروها ما دام وقوعها قد ثبت لديهم يقيناً .

أما معجزة محمد ﷺ الكبرى فهي القرآن الكريم : المعجزة الباقية

إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والمكافئة في تحديها لكل جيل وعصر وتطوّر لأنها تتوجه إلى العقول جميعاً في صورتها الأصلية التي تكفل الله بحفظها ، ولا يزيدها تطور البشرية وترقيها في العلم إلا وضوحاً وثباتاً ، كما سبق القول ( راجع فقرات : ٥٣ــ٥٥ ) . ولمحمد ﷺ كذلك معجزات حسية عديدة وردت بها الآثار الصحيحة ( راجع : البداية والنهاية لابن كثير : ج ٦ مج ٣ ص ٦٥ــ٣٠٠ ) .

**٦٣** ــ يجب أن نؤمن بوحدة الرسالات السماوية ووحدة مهمة الأنبياء والرسل : فكلهم دعوا الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده :

ــ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢١:٢٥) .

أما تفاصيل الأحكام الشرعية فكانت تأتي طبقاً للظروف الخاصة بكل رسول :

ــ ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٥:٤٨) .

لهذا كانت كل الرسالات التي سبقت رسالة محمد ﷺ ذات طابع محلّي ومؤقتة ، أما الرسالة الأخيرة فهي عامة للناس كافة وخاتمة لا رسالةَ بعدها تعدّل منها أو تضيف إليها ، فهي الصورة الكاملة لدين الله عز وجل : « الإسلام » .

إذاً ، اتّفق الرسل جميعاً في أصول الدين ومبادئه وقيمه الأساسية ، واختلفوا في تفاصيل الشريعة . كلهم كانوا « مسلمين » كما سجّل القرآن على ألسنتهم وألسنة المؤمنين من أممهم . ( راجع مادة : س ل م في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) .

٦٤ ــ يجب أن نؤمن بأن كل رسول ونبي كان يصدّق من جاءوا قبله ، وينصر من عاصروه منهم ، وينصر رسالاتهم والمؤمنين بهم ، ويوصي المؤمنين به أن يفعلوا ذلك بمن يأتيهم من رسل الله :

ــ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣ : ٨١ : ٨٢) .

من هنا كان فرضاً على أتباع الرسل السابقين ، كاليهود والنصارى ، أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، حين تبلغهم دعوته واضحة ، وإلا كانوا « كفاراً » حتى ولو كانوا بمؤمنين بموسى أو بعيسى عليهما الصلاة والسلام :

ــ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤ : ١٥٠ ــ ١٥٢) .

٦٥ ــ الإيمان بأنبياء والرسل عامة جزء من عقيدتنا كما رأيت ، ولكن الإيمان بنبوة محمد ﷺ والتصديق برسالته هو القسيم الثاني للإقرار بألوهية الله تعالى ، ولذلك كان النصف الثاني من « الشهادة » هو « ... وأشهد أن محمداً رسول الله » . ( راجع فقرة : ٣٩ ) . و « الشهادة » الكاملة بقسميها هي المدخل الصحيح إلى الإسلام ،

وهي الشعار الصادق المعبر — في قوة وإيجاز — عن جوهره ؛ فالإيمان بالله تعالى التزام بالمبدأ والأساس ، والإيمان برسالة محمد ﷺ التزام بالمنهج ، وبذلك تكتمل عناصر المسؤولية ويصبح التحمل والتنفيذ واجبين . كما يصبح الحساب والجزاء العادل ضرورة . وهذا هو موضوع الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

ولا شك أن ترتيب الأركان الأربعة الأولى للإيمان على النحو السابق ، المنقول عن القرآن والسنة ، واضحةٌ حكمتُه ، فالإيمان بالله هو الأساس ، والملائكة هم رسل الله إلى خلقه ينزلون إلى رسله بالوحي والكتب ، فيقوم الرسل من البشر بإبلاغها إلى الناس .

**الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر :**

**٦٦ ــ العقيدة في الله ← الشريعة ← الجزاء (اليوم الآخر»**

هذه ثلاث قواعد أساسية في الإسلام لا يمكن التهاون في أيّ منها ، ولا تقوم العلاقة بينها إلا على هذا الترتيب : « العقيدة » هي الأساس ، و « الشريعة » هي ميدان التطبيق ومحك اختبار صدق المسلم في عقيدته ؛ أما «الجزاء» فهو النتيجة الحتمية للأساسين السابقين ، وهو الحافز الدائم الذي يحث المؤمن على اخلاص الاعتقاد وإحسان العمل .

ولا أدل على أهمية هذا الركن — الإيمان باليوم الآخر — من وروده في كثير من آي القرآن الكريم تالياً للإيمان بالله ، سواء في مقام بيان صفات المؤمنين ، أو في مقام تقريع الكافرين ، من ذلك :

— ﴿ ... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (٢:١٧٧) .

ـــ ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (٩:٢٩).

( انظر أيضاً : ٢:٤،٨،٦٢،١٢٦،٢٢٨،٢٣٢،٢٦٤ ؛ ٣:١١٤ ؛ ٤:٣٨،٣٩،٥٩،١٣٦،١٦٢ ؛ ٩:١٨،١٩،٢٩،٤٤،٤٥، ٩٩ ؛ ٢٤:٢ ؛ ٢٩:٣٦ ؛ ٣٣:٢١ ؛ ٥٨:٢٢) .. الخ .

**٦٧** ـــ الإيمان باليوم الآخر وما فيه يعطي معنى وقيمة للإيمان بالله ولإنزال الكتب وإرسال الرسل وتوجيه التكليف إلى العباد ؛ كما أنه الميزان الحق الذي يقوم به العدل ويُدفع اليأس ، وتتحدد القيمة الحقيقية لهذه الحياة الدنيا ، وتنضبط كافة القيم التي تحكم حركة الإنسان في حياته ؛ فالمؤمن باليوم الآخر وبعدالة الجزاء فيه يسعى إلى الخير ويضحي في سبيله حتى وإن لم ينل على ذلك جزاءه في دنياه لأنه يؤمن أن جزاءه محفوظ عند ربه ، وسوف يناله ـــ ولا ريب ـــ كاملا يوم القيامة ، ويرتدع عن فعل الشر حتى وإن أمن العقاب في الدنيا بسبب سلطانه أو جاهه أو ماله أو مَكْرِه ...، لأنه موقن أن عدل الله لن يُفلِته يوم القيامة إن أمهله في الدنيا .

أما من لا يؤمن باليوم الآخر فإنه لا يؤمن بالله ، وهو ـــ كما قال القرآن ـــ :

ـــ ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ (٤:١٣٦).

**٦٨** ـــ من هنا يتضح لنا بعض السر في التذكير الدائم باليوم الآخر في القرآن وفي السنة ، وفي إيراد الكثير من التفاصيل ، وبأسلوب حي عظيم التأثير ، عن ذلك اليوم : علاماته وأحداثه ، وما ينتظر الطائعين والعاصين والكافرين والمشركين يومئذ . ( راجع السور المكية فهي حافلة بهذه التفاصيل ، خاصة سوراً مثل : الواقعة ، ق ، يس ، الحديد ،

القيامة ، النبأ وغيرها ) .

**٦٩** ــ « الإيمان باليوم الآخر » يشمل مجموعة من الأمور التي يجب أن نعلمها وأن نوقن بها إجمالا كحد أدنى لصحة العقيدة ، وهي ــ على الترتيب ــ : **الموت ــ البرزخ ــ الساعة** ( أماراتها الصغرى والكبرى ، النفختان ، البعث ، القيامة ، الحشر ) **ــ الحساب** ( الموقف ، العرض ، الحساب ، الميزان ، الصراط ) **ــ المصير** ( الجنة والنار ) .

وإليك بياناً موجزاً عن كل منها :

**٧٠ ــ الموت :**

هو استيفاء المخلوق الحي ما قدّره له الخالق عزّ وجلّ من أجَل يمكثه على هذه الأرض :

ــ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ﴾ (٦:٢)

: الأجل الأول ينتهي بالموت ، والثاني بالقيامة .

والموت حتم على كل نفس (٣:١٨٥) ؛ والأجل مقرّر في الأزل بدؤه ونهايته ولا مجال لتعجيله أو تأجيله .

ــ ﴿ ... وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١٦:٦١) .

ــ ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ (٤:٧٨)

ولا يعلم إلا الله : متى وأين وكيف يأتي الموت :

ـــ ﴿ ... **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ (٣١:٣٤) .

**٧١** ـــ الموت ليس فناء كما يعتقد الملحدون والعلمانيون ، وإنما هو انتقال من مرحلة من الحياة إلى مرحلة أخرى مغايرة ولكنها أهم . ولوقوع الموت على الحي شدةٌ وسَكَرات لا ينجو منها أحد ، ولكنها تتفاوت ما بين المؤمن والكافر ، وتكون للمؤمن رحمة ومغفرة ورفعاً للدرجات . ( راجع : ٦:٩٣) .

موت الإنسان هو بدء رحلته إلى يوم القيامة ، بل إنه ليستشعر ساعة الموت ملامح مستقبله في الآخرة :

ـــ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢٣:٩٩ــ١٠٠) .

**٧٢ ـــ البرزخ :**

هو الفترة الفاصلة بين الحياة الدنيا والاخرة ، أو بين الموت والبعث . وفي هذه الفترة أحداث ينبغي أن نعيها ، منها :

**أ ـــ سؤال الملكين :**

بعد الانتقال من هذه الحياة بالموت ، يأتي العبدَ مَلَكان فيسألانه عن ربه وعن دينه وعن الرسول الذي أرسله الله إليه . فإن كان في حياته من المؤمنين العاملين وُفِّق إلى جواب صحيح ، وإلا تلجلج ولم يجب . وعلى أساس جوابه تكون حاله في قبره نعيماً أو عذاباً . أما كيف حال

العبد بعد الموت وعند السؤال؟ وكيف يكون السؤال؟ فلا يعلم حقيقته إلا الله.

ب ــ **عذاب القبر ونعيمه:**

كان رسول الله ﷺ يتعوّذ كثيراً من عذاب القبر ومن فتنته ويحثّنا على التعوّذ منهما. وقد وردت النصوص الصحيحة في السنة أن المؤمن يقضي مدة البرزخ في سعادة، أما الكافر فيضيق عليه قبره ويضغط عليه ويظل في عذاب حتى يوم القيامة.

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل لنار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». (فتح الباري ٣:٢٤٣).

وفي هذا الحديث إشارة إلى قوله تعالى في شأن فرعون وأتباعه:

ــ ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (٤٠:٤٦).

## ٧٣ ــ الساعة

هي القيامة والحاقّة والواقعة والصاخّة والقارعة والآزفة .. الخ. وهي اللحظة المحددة ــ في علم الله وحده ــ لانتهاء هذه الحياة الدنيا وبعث الخلائق من قبورهم ليقوموا ويقفوا أمام ربهم ليحاسبهم ويجازيهم. وهي حق لا ريب فيه، بل ضرورة يحتّمها الإيمان بالله والنظر في الكون؛ ومنكرها أو الشاكّ فيها ضالّ وكافر:

ـــ ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤٠ : ٥٩).

ـــ ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (٤٢ : ١٨).

ولقد كان الإيمان بالساعة وما بعدها من أصعب ما واجهه الأنبياء والمرسلون في دعوة الناس إلى دين الله . لقد كان الضالون والكافرون في كل عصر يتهرّبون من الإقرار بها ويثيرون حولها الشبه ، لا لأن أمرها فعلا غير واضح ، أو يصعب على العقول تصديقه كما زعموا ، وإنما لأن الإقرار بها يعني إعلان تحمل المسؤولية ووجوب الاستعداد للحساب عن كل عمل أمام من لا تخفى عليه خافية ، وهذا ما يتهرب منه غير المؤمنين لأنهم يريدون أن يطلقوا لأهوائهم وشهواتهم العَنان :

ـــ ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (٤٥ : ٣٢).

ـــ ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٧٥ : ٣ ـــ ٦).

وكانت أكبر شُبَههم هي قضية « البعث بعد الموت » ، ولذلك أطال القرآن في الرد عليهم فيها ، كما سنبين بعد قليل . ( انظر فقرة : ٧٨ ).

**٧٤** ـــ الإيمان بالساعة يتضمن الإيمان بالأمور التالية :

أ ـــ أشراط الساعة ( أماراتها ، علاماتها ) :

استأثر الله سبحانه بعلم الساعة :

— ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (١٨٧:٧)

تماماً كما استأثر سبحانه بساعة انتهاء أجل كل نفس ، وذلك حتى يحرص المؤمنون على دوام الاستعداد لها ، فقيامة كل نفس هي ساعة موتها ؛ لكنه سبحانه كشف لنا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ عن عدد من أشراطها . والعلماء يقسمون هذه الأشراط إلى صغرى وكبرى :

**٧٥ ــ الأشراط الصغرى :**

معظمها يشير إلى فساد الأحوال وانقلاب الموازين . من أشهر هذه لأشراط : ظهور الفتن ، وكثرة القتل ، وانتشار الجهل ، ورفع العلم بقبض العلماء وتصدّي الجهّال للفتوى ، وتضييع الأمانة بتوسيد الأمر إلى غير أهله ، وفُشُوّ الزّنا وشرب الخمر ، وأن يصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، وأن تلد الأَمَة ربَّتها ، وأن يظهر كثير من الدجالين المدّعين للنبوة . كما ورد أن بعثة النبي محمد ﷺ وخَتْم النبوة إنما هي علامة على قرب الساعة : « بعثت أنا والساعة كهاتين » البخاري ، فتح الباري ١١/٣٤٧ ) .

**٧٦ ــ الأشراط الكبرى :**

طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وظهور المسيخ الدّجّال ونزول عيسى ابن مريم ( عليه السلام ) وظهور يأجوج ومأجوج والانقلاب الكوني في آخر أيام الدنيا ( راجع : سورتي التكوير والانفطار لترى بعض صور هذا الانقلاب ؛ وراجع أيضاً : اليوم الآخر في ظلال

القرآن ، إعدا : أحمد فائز ) .

**٧٧ ــ النفختان :**

ذكر القرآن أن هناك نفخة الصعق :

ــ ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣٩:٦٨) .

تليها نفخة البعث :

ــ ﴿ .. ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٣٩:٦٨)

وهنا تكون « القيامة » ليقوم الناس لرب العالمين . ويومها يكون الناس في ذهول وفزع لا يوصف . ( راجع : أول سورة الحج ) .

٧٨ ــ وقد كان المكذبون بالرسل في كل عصر يجعلون من « البعث » عقبة كؤوداً في سبيل الإيمان باليوم الآخر ، مدّعين أن إحياء الموتى بعد أن صاروا تراباً غير ممكن . وقد أفحمهم القرآن مراراً بالعديد من الحجج الواضحة ، وكشف زيف ادعاءاتهم ، كما في قوله تعالى :

ــ ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (١٧:٤٩ــ٥١) .

ــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى

ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (٥:٢٢).

(راجع أيضاً : ٦:٢٢ــ٧؛ ٣٦:٧٨ــ٨٣؛ ٥٠:٢ــ١١).

**٧٩ ــ الحشر :**

بعد البعث يحشر الناس جميعاً إلى صعيد واحد « حُفَاة عُرَاة غُرْلا » ــ ( غرلا : غير مختونين ) ــ كما جاء في الحديث الصحيح ( متفق عليه ).

ــ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ (٤:١٠١).

ــ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (٦:٩٩).

**الحساب :**

**٨٠ ــ الموقف :**

بعد أن يحشر الناس من قبورهم إلى صعيد واحد يواجهون « يوم الحساب » على ما قدمت أيديهم في الدنيا . وهذا اليوم الرهيب الطويل الذي ينتظرون فيه الفصل في أمرهم يكون شديداً على الكافرين حيث استيقنوا سوء مصيرهم ؛ يومها تدنو الشمس من الرؤوس ويشتد الكرب ويخوض الناس في عرقهم على قدر أعمالهم حتى يصل ببعضهم إلى أن يُلجمه العرق إلجاماً ، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه .

لكن رحمة الله تدرك بعض المؤمنين فيكونون في ظل الله وأمنه :

ـــ ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (١٠٣:٢١).

ـــ « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلُّه : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، .. الخ ( متفق عليه ).

يكون ذلك اليوم على الكافر بطول خمسين ألف سنة (٤:٧٠) ، ولكنه يمر على المؤمنين أخف من صلاة مكتوبة . في هذا اليوم :

ـــ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ... ﴾

(٣٤:٨٠ـــ٣٧ وما بعدها ).

ويعظم الهول ويفرغ الصبر حتى يتمنّى الناس الانصراف ولو إلى النار ، ويبحثون عن مخرج فيتوجهون إلى أنبيائهم من آدم حتى عيسى عليهم السلام ، فيحيلهم كل نبي إلى من بعده حتى يصلوا إلى محمد ﷺ فيبتهل إلى الله ويتشفَّع فيجيبه ربه ويقضي بين خلقه ؛ وهذه هي الشفاعة العظمى المشار إليها بقوله تعالى :

ـــ ﴿ ... عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩:١٧).

### ٨١ ـــ العرض والمحاسبة :

وردت النصوص بأن الخلق ـــ يوم القيامة ـــ سيعرضون على ربهم مجردين من كل شيء إلا ما قدمت أيديهم في الدنيا : فتعرض عليهم سائر أعمالهم في كتبهم فيسألهم ربهم ـــ وهو أعلم بأعمالهم ـــ فيقيم عليهم الحجة بشهود من أنفسهم ومن الأرض التي شهدت ما فعلوا عليها ؛ يومها يفضح الله الكافرين فيكشف سيئاتهم على الملأ ، ويستر

على المؤمنين ويحاسبهم حساباً يسيراً ، ويُعطىٰ كلٌّ كتابَ أعماله حسب حاله : فالمؤمن بيمينه ، والكافرون بعضهم بشماله وبعضهم وراء ظهره . (١٨:٦٩ــ٢٩؛٨٤:٦ــ١٥ ؛ ٤١:١٩ــ٢٤) :

ــ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٤:٤٢) .

**٨٢ ــ الميزان :**

ورد في القرآن والسنة أن أعمال العباد ستوزن يوم القيامة بميزان دقيق عادل ليظهر للخلق عدلُ الله في حسابهم :

ــ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴾

(٢٣:١٠٢ــ١٠٣) ، وانظر أيضاً : (٢١:٤٧؛٧:٨ــ٩) .

أما حقيقة الميزان والوزن فهي من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

**٨٣ ــ الصراط :**

وهو الجسر الممدود على متن ( ظهر ) جهنم يمر عليه جميع العباد في الطريق إلى مصائرهم . وهذا المرور لعله المشار إليه في الآية :

ــ ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

(١٩:٧١ــ٧٢) . ( راجع : فتح الباري ١١:٤٤٤ ، ح ٦٥٧٣ ) .

**٨٤ ــ المصير :**

بعد اتِّضاح موقف كل إنسان بعد اطلاعه على أعماله وإقراره بها

يتحدّد مصيره . والناس في ذلك على ثلاثة أقسام :

أ ــ مؤمنون قلّت سيئاتهم يرجى أن يغفر الله لهم ويكرمهم ويُنجّيهم من عذاب جهنم ، فيمرون عليها من فوق الصراط دون أن تمسّهم ، ليدخلوا الجنة ويتنعّموا فيها بما أعده الله لهم خالدين فيها أبداً إلى ما شاء الله .

ب ــ مؤمنون عصاة كثرت سيئاتهم ، ولم يتوبوا منها توبة صادقة قبل موتهم فهؤلاء يسقطون في جهنم من فوق الصراط لينالوا عقابهم العادل بقدر معاصيهم إلى أن يأذن الله بخروجهم منها ، فيتطهرون ثم يدخلون الجنة ، وينالون فيها الدرجة المناسبة لمقامهم في الإيمان والأعمال الصالحة . وقد وردت النصوص الصحيحة أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان .

ج ــ مشركون وكفار لم يكن لهم نصيب من الإيمان . وهؤلاء يسقطون في جهنم ليُخَلّدوا في عذابها :

ــ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (٣٥:٣٦)[١١] .

---

(١١) تدبر وقارن النصوص التالية لتتبين أبعاد الترابط الوثيق بين « الصراط المستقيم » الذي يدعونا الإسلام إلى التزامه في الدنيا ، و « صراط العبور » إلى الجنة من فوق جهنم في الآخرة :

١ ــ عن النواس بن سمعان عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : « ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، وعن جَنْبَتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتَّحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعاً ، ولا تفرقوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن فتحته تَلِجه ؛ فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتَّحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط

**٨٥** ــ نؤمن بأن « الجنة حق وأن النار حق » ، وأن كل ما وصلنا ــ في كتاب الله وفي الثابت من سنة رسوله ﷺ ــ حق ، نؤمن به كما جاء ، ونكل علم حقيقته إلى الله وإلى يوم القيامة حيث تظهر الحقيقة لكل حسب مصيره .

**٨٦** ــ هذا الإيمان بالجنة والنار وما فيهما يجب أن يكون صادقاً وحيّاً في قلوبنا بحيث يدفعنا بقوة إلى العمل بجد وإخلاص لننقذ أنفسنا من النار ، ولنتأهّل لنَيْل الجنة بفضل الله ، إذ عملُنا ــ مهما عظم ــ لا يفي بشكر نعمة واحدة من نعم الله علينا ، فضلا عن أن يكون مكافئاً لنعمة الجنة .

ــ قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل أحداً عملُه الجنة » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله بفضل

---

= كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم » . ( رواه أحمد والترمذي والنسائي ) .

٢ ــ عن جابر قال : كنا جلوساً عند النبي ــ ﷺ ــ فخطَّ خطّاً هكذا أمامه فقال : « هذه سبيل الله » وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال : « هذه سُبل الشيطان » ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية :

ــ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ ﴾

(الأنعام ــ ١٥٣) . ( رواه أحمد وابن ماجه والبزار ) .

٣ ــ روى البخاري من حديث لأبي هريرة : « ... ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ : فأكون أول من يُجيز ( يَمُرُّ ) ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ... غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم : منهم المُوبَق بعمله ، ومنهم المُخَرْدَل ( الممزَّق ) ثم ينجو ... » ( فتح الباري ١١:٤٤٥ ) .

ورحمة » . ( البخاري : فتح الباري : ١٠ / ١٢٧ ) .

لكن الله سبحانه وعدَنا — كرماً منه وفضلا — أن يثيب الطائعين الجنة ، وربط ذلك بالعمل الصالح :

— ﴿ .. وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (٤٠:٤٠) .

— ﴿ ... فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (١٩٥:٣) .

٨٧ — وقد أفاض القرآن والسنة في الحديث عن الجنة ونعيمها والنار وعذابها ، وعن ما فيهما . والمؤمن يفقه هذه الدلالة فيُعنى بتلك النصوص ويتدبرها ويمتلئ قلبه إيماناً بمحتواها ، فيتجه إلى ربه يسأله الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل ، ويستعيذ به من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، فلا ينفكّ عن حالي الرجاء والخوف .

**الركن السادس : الإيمان بالقَدَر**

٨٨ — من أفضل التعريفات التي تحدّد بوضوح معنى هذا الركن أنه يعني الإيمان بـ « النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبَّباتها »[١٢] .

« القَدَر » : هو التقدير الإلهي لكل شيء على أساس علمه الكامل

(١٢) العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، ص ٩٥ .

سبحانه ، أما « القضاء » : فهو نفاذ « القدر » ووقوعه بإرادة الله وقدرته طبقاً لما قدره .

فالله — سبحانه وتعالى — قد أحاط بكل شيء علماً ، وعلمه — عز وجل :

— ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣:٣٤) .

وبناء على هذا العلم المحيط ، كان :

— ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (١٣:٨) .

فإذا قضى — سبحانه — بخلق شيء أو وقوع أمر كان ذلك على أساس ما عَلِمَ وما قَدَّر ، ولا بد أن يتطابق الواقع مع العلم والتقدير إذ لا مجال للاختلاف أو القصور أو التعارض ، لأن ذلك يكون نقصاً في العلم ، والله — سبحانه وتعالى — منزَّه عن النقص :

— ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٥٤:٤٩) .

**٨٩** — وعلى هذا ، فلا مجال في الكون لشيء اسمه « صُدفة » أو « حظّ » على الحقيقة ، وإن بدت لنا بعض الأمور كذلك بسبب جهلنا وقصور علمنا :

— ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥٧:٢٢) .

— ﴿ . وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(٢١٦:٢). ( راجع فقرة ٢٦ ).

**٩٠** ــ عِلْم الله الأزلي بكل ما يحدث في الكون ــ ومن ذلك سائر أعمال البشر، خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ــ وقضاء الله وقدره المبنيّان على هذا العلم لا تسلب الإنسان حرية الاختيار فيما يفعل من خير أو شر، بل اختياره باقٍ لم يمسّ، وإن خُيِّل إليه في بعض الأحيان غير ذلك؛ وبالتالي، فإن مسؤوليته عن أعماله كاملة، ويستحق عليها ثواباً أو عقاباً طبقاً لاختياره وفعله.

ومنا هنا، فمن المغالطة أن يحتج أحد بالقضاء والقدر طمعاً في إعفاء نفسه من المسؤولية عما جنت يده. وقد ردّ القرآن رداً حاسماً على من يحتجّون بالقدر:

ــ ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨:٦).

**٩١** ــ وأولئك الذين يحتجون بالقدر لا يفعلون ذلك عادة إلا بعد أن يتورطوا في مخالفات ومعاصٍ تجرّ عليهم لوم الناس أو تأنيب الضمير أو يستشعرون الخوف من عقاب الله، فيُلْقون المسؤولية على القدر هروباً من تحملهم هم مسؤولية ما ارتكبوا. أما حين يوفّقون إلى خير فإنهم لا يتنصّلون منه ولا ينسبونه إلى القدر، بل يتباهون أنه من عملهم.

والسؤال الواضح الذي يَعْجز المحتجون بالقدر عن الإجابة عليه هو : من أين لهم — قبل الفعل — أن يعلموا أن الله قدّر عليهم وقضى ، مع أنه غيب محجوب عن البشر لا يعلمون به إلا إذا وقع ؟!

**٩٢** — نقطة أخرى جوهرية ، هي أنه من المعلوم والمقرّر في الشريعة أنه لا تكليف ولا مسؤولية ولا ثواب ولا عقاب في حالة انعدام الاختيار الحقيقي كفترة ما قبل البلوغ ، أو عند ذهاب العقل بأي سبب ، أو عند وجود الإكراه الحقيقي على الفعل أو الترك . فلو كان القدر يعني شلّ الاختيار أو إضعافه لأعفانا الله العادل من المسؤولية عن أعمالنا بقدر ذلك .

**٩٣** — فالقَدَر — بالمفهوم الصحيح في الإسلام — ليس عقبة في طريق الإنسان ولا باعثاً على التواكل والسلبية ؛ بل العكس هو الصحيح ، إذ يشعر المؤمن بأن أي شيء يقع له قائم على نظام إلهي محكم أساسه العلم الكامل والتقدير الحكيم ، وله أسبابه وغاياته الحكيمة ، وأنه بقدر تحمله للمسؤولية يكون جزاؤه عند الله ، ومن ثم ينفي عن نفسه كل المثبطات والأوهام والخرافات ، فيُقدِم حيث يجب الإقدام ، لا يخشى فوات أجل أو رزق . كما يعلم أن قعوده عن مواجهة المواقف لن يغير شيئاً من سنن الله الحاكمة للكون كله :

— ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (١٥٤:٣)

— ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١:٩) .

٩٤ ــ بقيت نقطة تتعلق بعلاقة القدر بالأسباب : هل الأخذ بالأسباب يتعارض مع الإيمان بالقدر ؟ والجواب : لا تعارض ، لأن الأسباب هي ــ أيضا ــ من قدر الله ، بدليل قول الرسول ﷺ عن الطاعون : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ؛ فعدم دخول أرض الطاعون أخذ بالأسباب ، وعدم الفرار من أرضه أخذ بالأسباب أيضاً لمنع انتشاره ، وإن كان ذلك كله لا يغني في دفع ما قدر الله وقوعه لحكمة يعلمها . ومن هذا الفهم قولة عمر ــ رضي الله عنه ــ الحكيمة حين قرّر الرجوعَ عن دخول الشام بعد أن علم بظهور الطاعون فيها فسأله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : « أفراراً من قدر الله ؟ » فأجاب عمر : « لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة ؟! نعم نَفِرّ من قدر الله إلى قدر الله » . ( فتح الباري : ١٠ :١٧٨ــ١٩٢ ) .

نقطة أخرى تتعلق بالدعاء وعلاقته بالقدر : فقد رويت أحاديث من مثل :

ــ « الدعاء يرد البلاء ( أو : القضاء ) » أخرجه الطبراني والحاكم .

ــ لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة » أخرجه الطبراني مرفوعاً عن عائشة رضي الله عنها .

فكيف تُفهم هذه النصوص وأمثالها في ضوء عقيدة نفاذ ما قدره الله ؟

أجاب الإمام ابن القيم عن ذلك بقوله : « ... قُدِّر بسببه ، فإن وجد سببه وجد ما رُتِّب عليه ، وإن لم يوجد سببه لم يوجد . ومن

أسباب المطلوب : الدعاء والطلب ... كما أن من أسباب الولد : الجماع ، ومن أسباب الزرع : البَذْر ونحو ذلك .

فهو ( الله ) الذي جعل السبب سبباً ، وهو الذي رتَّب على السبب حصول المسبَّب ، ولو شاء لأوجده بغير ذلك السبب ، وإذا شاء منع سَبَبِيّة السبب ، وقطع عنه اقتضاء أثره ، فالأسباب طوع مشيئته ــ سبحانه ــ وقدرته ... يقلِّبها كيف شاء » ( مدارج السالكين ، ٣:١٠٤ــ١٠٥ ) .

**٩٥ ــ الإيمان بالغيب :**

أركان الإيمان الستة في جملتها تدخل في نطاق الغيب الذي لا قدرة لعقولنا على الإحاطة به : فحقيقة الله ــ سبحانه وتعالى ــ : ذاته وصفاته وأفعاله غيب ، وإن كنا نرى ونشاهد آثار صفاته في الكون وفي أنفسنا ؛ وكذلك حقيقة الملائكة والوحي والاتصال بينهم وبين الرسل البشريين ، وكيفية تلقي الرسل للوحي ، والمعجزات التي يجريها الله لهم أو على أيديهم ، وحقيقة اليوم الآخر وما فيه والقدر كيف يجري .. كل ذلك ندرك منه على قدر عقولنا ، وهو كاف لإقامة الحجة علينا ، لكن يبقى الجزء الأعظم مطوياً في عالم الغيب .

ومن هنا ندرك مغزى افتتاح القرآن الكريم صفات المتقين ــ في مطلع سورة البقرة ــ بأنهم :

ــ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

(٣:٢) ، ومغزى تأكيد القرآن في عشرات المواضع أن « الغيب » لله وحده ، وأن ليس لبشر منه شيء إلا من أطلعه الله على ما يشاء منه . ( راجع : مادة « غيب » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) .

وليس معنى أركان العقيدة من الغيب ، وأن الإيمان بالغيب أو صفات المؤمنين الصادقين ، أننا نؤمن بالمجهول أو بالمعميات أو بالخرافات كما يزعم الملحدون والعلمانيون والماديون ؛ إن « الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسُّه ، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس — أو الأجهزة التي هي امتداد للحواس — وهي نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ولحقيقة وجوده الذاتي ، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود ، وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير ... وأن وراء الكون ، ظاهره وخافيه ، حقيقةً أكبرَ من الكون .. حقيقةَ الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول » . ( في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٧١ ج ١ : ٤٠ ) .

# الفصل الثاني
# العقيدة في حياة المسلم

**٩٦** ــ الإيمان ــ بأركانه الستة السابقة ــ يشكل منهجاً متكاملا في بناء الشخصة المسلمة : الشخصية المتكاملة القوية التي تفهم الحياة الفهم الصحيح ، وتتحرك في ثقة وتسعى إلى غايات واضحة بوسائل نظيفة وسليمة . إنها شخصية تعلم حقيقة نفسها فلا ترضى بالخروج عن حدودها : لا إلى أعلى فتدّعي الألوهية أو نحوها كما فعل فرعون وأشباهه ، فذلك عبث؛ كما لا ترضى بالنزول عن درجتها إلى دَرْك الحيوانات التي لا يعنيها سوى إشباع حاجتي البطن والفرج واستعراض العضلات .

المؤمن ذو العقيدة السليمة الواضحة محصَّن من أن تستولي عليه الأوهام والخرافات التي تسيطر على المشركين والملحدين حيث يؤلهون خلقاً مثلهم ، ويعبِّدون أنفسهم لما هو دونهم أو لأمثالهم من الخلق ويوهمون أنفسهم بأن وراء ذلك معنى أو فلسلفة كما يقولون .

**٩٧** ــ لا شك أن فقدان العقيدة السليمة لدى فريق من البشر ، وضعفها أو انبهامها عند آخرين ، لهو أول وأهم سبب من أسباب التخبط والتردّي والعبث الذي يسيطر على حياة آلاف الملايين من البشر في عصرنا الحاضر . ولم ــ ولن ــ يغنيَ عنهم علمُهم الماديّ فتيلا في تصحيح هذا الوضع المتدهور .

المسلمون ــ وحدهم ــ هم الذين يملكون الآن إمكانية الوصول إلى العقيدة الصحيحة لأن مصدرها ــ والحمد لله ــ محفوظ من التحريف ، وهو القرآن والسنة ، وطريقها فيها واضح كل الوضوح . كما أنهم ــ وحدهم ــ القادرون على إنقاذ البشرية من ترديها بتقديم هذه

العقيدة الصحيحة لغير المسلمين بالشكل الصحيح **قولا وعملا** .

أما أن يظلوا مسلمين بالاسم يستوردون المبادئ والتصورات ممّن ضلّوا الطريق ، فتلك أعظم جريمة وظلم في حق أنفسهم وحق البشرية ، لأنها خيانة لأعظم أمانة ، وتضييع لأسمى رسالة وأشرف واجب : « الخلافة » في الأرض و « الشهادة » على الناس .

**٩٨** ــ تَعلُّم العقيدة والاقتناعُ بها ، أو تعليمُها للغير وإقناعُه بها ، يجب أن يتَّبع منهج التدرُّج الذي ورد بشأنها في نصوص القرآن والسنة بتقديم الإيمان بالله ــ بكل أبعاده ــ على ما سواه ، وتقديم ما بعده على نفس الترتيب الوارد في النصوص ، وبنفس الروح من الوضوح والبساطة والحيوية .

**٩٩** ــ كما يجب أن يُقدَّم التعريف بالعقيدة ، أو تصحيحها ، على طلب الالتزام بالأحكام الشرعية والواجبات ، إذ لا أمل بدون العقيدة الصحيحة الواضحة في حدوث استجابة أو التزام . وإذا عُكِس الترتيب فإنه لا يعين على تحقيق المطلوب ، بل قد يؤدي إلى عكسه .

**١٠٠** ــ الفصل بين العقيدة والعمل من أخطر الأمراض التي تعود عليهما معاً بالضعف والفساد ، وهي بدعة غربيّة عن الدين تبلورت هناك في مصطلح « العلمانية » نتيجة لظروف خاصة بتلك المجتمعات لا يوجد عندنا ما يشبهها ، ولكن المفتونين بالغرب من أبناء الإسلام الجاهلين بدينهم ــ فضلا عن العملاء والأعداء ــ قاموا بترويج ذلك المفهوم الفاسد في مجتمعات المسلمين فكان الخلل والانحراف والفساد الضارب أطنابه في كل مكان .

أما أخْذُ العقيدة مرتبطة بالعمل ارتباط الروح بالجسد فهو السبيل

الأكيد لحياتهما ونمائهما معاً :

ـــ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾
( ٤١ : ٣٠ وما بعدها ) .

**١٠١ ــ كيف نحيي عقيدتنا ؟**

من أفضل ما يحيي العقيدة في نفس المسلم ويوضّح جوانبها قراءةُ القرآن الكريم وتدبرُ آياته ، خاصة السور المكية منه ( مثل : الأنعام والأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد .. الخ ، ومعظم سور جزئي ٢٩، ٣٠ ، وكذلك قراءة متكاملة في كتب السنة الصحيحة ، خاصة أبواب : العلم ، الإيمان ، التوحيد ، الرقائق ونحوها . مجرد القراءة المتأنية ، وبهذه النية ، تفيد كثيراً ؛ فإذا أمكن أن يُستعان بمراجعة أحد كتب تفسير القرآن الكريم المختصرة ــ كتفسير « ابن كثير » أو « التفسير الواضح » ــ أو المطولة مثل « في ظلال القرآن » ، فإن الثمرة تكون أرجى وأوفر إن شاء الله . أما هذه المذكرة أو غيرها من البحوث حول العقيدة فليست سوى مفاتيح تدل على الطريق .

**١٠٢** ــ كذلك ، فإن من أفضل ما يحيي العقيدة وينمّيها في قلب المسلم وحياته ، وفي حياة الجماعة المسلمة ، أن تتحول إلى عمل واقعي يعيشه صاحب العقيدة نهارَه وليلَه ، في عباداته ومعاملاته ، في سره وعلانيته ، في خلوته وجَلْوته ، أيام رخائه وأيام شدته .

فالعقيدة تقوى بإكثار العبد من الأعمال الصالحة ومداومته عليها وزيادة درجة إخلاصه فيها لله ، وإحسانه لها ؛ وهي ــ أيضاً ــ تضعف بضد ذلك ؛ أو ــ بتعبير علمائنا ــ : « الإيمان يزيد بالطاعات

وينقص بالمعاصي » .

ومن الناحية الأخرى ، كلما قويت العقيدة كانت أعظم محرك وحافز لصاحبها على الترقي في عمل الصالحات ، وفي « الإحسان » ، وهذا ـــ بدوره ـــ يعود على العقيدة بالمزيد من القوة والفعالية ... وهكذا دواليك . وتلك هي صورة الخير المتفاعل المتنامي الممتد أبداً ، والمشار إليه بقول الله عز وجل عن « الكلمة الطيبة » ـــ كلمة التوحيد وشعار العقيدة الصافية :

ـــ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١٤ : ٢٤ ـــ ٢٥) .

**١٠٣** ـــ ومجال التطبيق الواقعي ـــ أو العمل الصالح ـــ في حياة المسلم رحب فسيح ، يغطي كل جوانبها المادية والعقلية والروحية ، الخاصة والعامة ، الفردية والاجتماعية ، المحلية والعالمية ، العبادات والمعاملات ، بل إنه ليغطي الحياة والموت جميعاً :

ـــ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦ : ١٦٢ ـــ ١٦٣) .

**١٠٤** ـــ هذا الجانب من آثار العقيدة هو جانب المسؤوليات والتَّبِعات التي يستوجبها الإيمان بهذه العقيدة . وإذا أردنا ضرباً من التحديد والحصر لهذه الواجبات ، فإن ذلك ليس باليسير ، ولكن يكفينا هنا تقديم المفاتيح لمن يريد الوقوف على الصورة مكتملة :

أخي ! عِشْ مع كتاب الله عز وجل ، وتابع خطابه ونداءاته للمؤمنين

وارقب أوامره ونواهيه لهم تقف على جلية الأمر :

**١٠٥** — ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ .. ﴾

هذا النداء الرباني تكرر في القرآن الكريم أكثر من مرة ، وفي كل مرة يعقبه تكليفٌ من الله للمؤمنين : أمر بواجب أو نهي عن محرم أو حث أو تحذير . هذا فضلا عن دخولهم — في المقام الأول — في النداء العام : ﴿ **يا أيها الناس** .. ﴾ الذي تعقبه — أيضاً — تكليفات من رب الناس . من ذلك :

— ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ...

— ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (٤:١٣٦) .

— ﴿ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ﴾ (٢:٢٠٨) .

— ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٤:٥٩) .

— ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ (٤:١٣٥) .

— ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ (٥:٥١) .

— ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨:٢٧) .

( راجع ، مادة : « أيها » في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ) .

١٠٦ ــ صفات المؤمنين والمتقين التي فصَّلها القرآن ، وأكَّد عليها ، هي أيضاً تكاليف ومستويات عُليا في الخير يقتضيها الإيمان بالله وبما يليه من مكونات العقيدة :

ــ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٨ : ٢) .

ــ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ (٢٣ : ١ ــ ٢) .

ــ ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (٩ : ٧١) .

( راجع ، مواد : مؤمن ، مؤمنون ، مؤمنة ، مؤمنات ، متقون ، وأمثالها .. ) .

ومن الملفت للنظر في القرآن الكريم أن جملة التكاليف بمختلف صورها ــ مباشرة وغير مباشرة ــ إنما ذكرت تالية للوصف بالإيمان ، لا الوصف بالإسلام ؛ ولا غرابة في ذلك ، لأن الإسلام ــ بمعنى الخضوع والامتثال لأوامر الله ونواهيه ــ إنما هو ثمرة « الإيمان » وعَلَمٌ على القيام بمطلوبات العقيدة تلك . إذاً ، فالعقيدة ــ الصحيحة الحية ــ تثمر حياة حقيقية مفعمة بالعمل الصالح وبالبناء الذي يعمّر الدنيا والآخرة .

١٠٧ ــ وفي سنة النبي ﷺ القولية والفعلية مزيد من التفاصيل لواجبات المؤمنين وصفاتهم ومواقفهم اللائقة بعقيدتهم :

ــ « الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون ، شعبة : أعلاها قول

لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » . « متفق عليه » .

ولقد حاول بعض علمائنا ــ جزاهم الله خيراً ــ إحصاء تلك الشعب المشار إلى عددها في الحديث السابق ، والاستدلال على كل منها من كتاب الله ومن السنة النبوية ، فألفوا في ذلك ، ومن أشهر المؤلفات : «شعب الإيمان» للإمام البيهقي (٣٨٤ــ٤٥٨ هـ .) . فلترجع إلى هذه المظانّ لترى بنفسك مدى سعة آثار العقيدة في حياتك وحياة الأمة ، ولتشمّر عن ساعد الجد لحمل هذه الأمانة وأداء مطلوبها وتدعو الآخرين إلى ذلك الخير .

**١٠٨** ــ كذلك ، فإن صفات الكافرين والمنافقين ومواقفم المسجلة في القرآن والسنة ــ وهي أيضاً واضحة ومفصلة فيهما ــ هي بمثابة نواهٍ وتحذيرات موجهة للمؤمنين ، عليهم أن يعوها وأن يجتنبوها في حياتهم ، وأن يحاربوها في أنفسهم وفي غيرهم :

ــ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (٣:١٥٦) .

ــ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٨:٣٦) .

ــ ﴿ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ (١٨:٥٦) .

ــ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾
(٢٠٤:٢–٢٠٦) .

( راجع ، مواد : كفروا ، يكفرون ، الكافرون ، ... المنافقون ...، الفاسقون ... ) .

وقد أحصى أحد الباحثين شعب النفاق وصفات المنافقين ، فبلغت الخمسين واستدل عليها من القرآن والسنة . ( راجع كتاب : المنافقون وشعب النفاق ، للأستاذ حسن عبد الغني . طبع دار البحوث العلمية ، الكويت ) .

**١٠٩** ــ هناك جانب آخر من آثار العقيدة ، هو ثمرة لوجودها وللقيام بمطلوباتها . لقد وعد الله ــ ووعده لا يتخلف ــ وأكد هذا الوعد رسولُه ﷺ : أن من آمن وصدّق وعمل مخلصاً بموجب إيمانه ، وبذل وُسعَه في إحسان عمله ، أن ينال الخير كله في الدنيا وفي الآخرة :

ــ ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨:٢) .

ــ ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (١٢٣:٢٠) .

ــ ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾
(٥٥:٢٤) .

ــ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧:١٦) .

— ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (١٠ : ٩).

( راجع ، مادة : « أ . م . ن » ومشتقاتها في المعجم المفهرس » .

**١١٠** — وفي السنة المطهرة مزيد بيان وتفصيل :

— « من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نُزُلا في الجنة كلما غدا وراح » . ( متفق عليه ) .

— « من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » . ( متفق عليه ) .

— « من سره أن يبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه » . ( متفق عليه ) .

وإلى هذا يَقْرِن المؤمن ما توعدّ الله به الكافرين والمنافقين والمحادّين لله ورسوله من سوء الحياة وفسادها ، والضنك والشقاء في الدنيا إلى جانب العذاب الأليم الشديد في الآخرة ، ليعرف المؤمن أيَّ خير أهدته له عقيدتُه وصالحُ عمله ، وأيَّ شرٍّ وعذاب وضياع كان يمكن أن ينزل به لولاهما .

( راجع أيضاً إحدى مجموعات السنة مثل : « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » ، و « رياض الصالحين » ، أو غيرهما لتقف على الهدي النبوي في هذه القضية .

**١١١** — العقيدة بهذا التصور والشمول والالتحام بكل أنشطة الحياة تعتبر أعظم مصادر القوة والهداية والأمن والاستقرار والأمل والدافعية في حياة المسلم ، كما أنها تربط بين أفراد الجماعة ، أو الأمة

المسلمة في شتى صورها — اسرة او قبيلة او شعبا او امة — باسمى الروابط وأوثقها وأدومها :

— ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ﴾ (٢٥٦:٢) .

— ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣:٣) .

— ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ (٧١:٩) .

— « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » . ( متفق عليه ) .

**١١٢** — عرف أعداء الإسلام هذا السرَّ الأكبر في قوة هذا الدين وقوة الأمة المسلمة وهو « العقيدة » الصحيحة المحفوظة التي تدفع بالمسلمين إلى سلوك الطريق المستقيم المرسوم لهم في شريعة ربهم أمةً واحدة متماسكة ؛ ولهذا رأيناهم — في كل عصور الصراع ، خاصة في هذا العصر الأخير — يوجهون جُلَّ جهودهم لتشويه هذه العقيدة وما ينبثق عنها من مبادئ ومفاهيم ، ويحاولون تشكيك الأجيال الجديدة من أبناء المسلمين فيها . ولقد نجحوا — للأسف — في سلخ الكثيرين من

عقيدتهم ، أو تهوين صلتهم بها ، أو إماتة غيرتهم عليها ؛ وكانت النتيجة المُرَّة الضياعَ والتمزقَ والذلةَ التي يعيش فيها المسلمون مُوَلِّين وجوههم نحو حضارة الغرب المادية الخاوية ، وأدبارهم نحو عقيدتهم ومنهاج ربهم القويم !!

**١١٣** ــ والعلاج ، هو العودة الحميدة إلى النبع الصافي لإحياء العقيدة في النفوس ، وإشرابها الأجيال الناشئة عن طريق وصلهم وصلا صحيحاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وموالاة تربيتهم على أصول هذا الدين الحنيف ومبادئه ، وتحصينهم بكل الوسائل ضد السموم الفكرية المبثوثة في كل ما يحيط بهم ويؤثر فيهم : أجهزة التعليم والإعلام ، والبيئة التي أصبحت صورة ممسوخة للبيئات المتفسخة في الغرب المادي الملحد .

**١١٤** ــ بعد بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة ــ كما وفق الله ــ سنعرض ، بإذن الله ، وبشكل موجز لمعظم صور التشويه التي أدخلت عليها في مختلف العصور ، وللعقائد الزائفة التي ابتدعها شياطين الإنس من يهود وغيرهم وروّجوا لها لتحلّ محل العقائد الصحيحة أو تنافسها ، ثم لِما أقيم على تلك التشويهات والمفتريات من مذهبيات وتصورات ضالة ومخططات مخرّبة ؛ والغاية من ذلك أن نكون على بيّنة منها ومن أخطارها ، وخاصة ما كان منها معاصراً لنا ولا يزال تتسرب سمومه إلى عقولنا وعقول ناشئتنا مُتَخَفِّياً تحت تسميات ومصطلحات خادعة أو غامضة ، وأن نتمكن من مقاومتها عن علم ، ومن مساعدة المخدوعين بها ، منا ومن غيرنا ، على أن يكتشفوا حقيقتها وأخطارها فيبرأوا منها ، أو يكفوا عن موالاتها .

**ملحق** : مراجع لمزيد من التوسع حول « العقيدة » ومباحثها :

١ ــ العقائد الإسلامية . سيد سابق .
٢ ــ عقيدة المسلم . محمد الغزالي .
٣ ــ تبسيط العقائد الإسلامية . حسن أيوب .
٤ ــ رسالة العقائد . حسن البنا .
٥ ــ الإيمان : أركانه ، حقيقته ، نواقضه . محمد نعيم ياسين .
٦ ــ تعريف عام بدين الإسلام : العقيدة . علي الطنطاوي .
٧ ــ العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة . محمد أبو الغيط الفرت ، محمد رواس قلعجي .
٨ ــ العقيدة في الله . عمر الأشقر .
٩ ــ وجود الله . يوسف القرضاوي .
١٠ ــ حقيقة التوحيد . يوسف القرضاوي .
١١ ــ الإيمان بالله . ابن تيمية .
١٢ ــ شرح العقيدة الطحاوية . ابن أبي العز الحنفي .
١٣ ــ العقيدة وأثرها في بناء الجيل . عبد الله عزام .
١٤ ــ الإيمان والحياة . يوسف القرضاوي .
١٥ ــ اليوم الآخر في ظلال القرآن . أحمد فايز .
١٦ ــ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد . محمد بن عبد الوهاب . عبد الرحمن بن حسن .
١٧ ــ دعاة لا قضاة . حسن الهضيبي .
١٨ ــ العقيدة الواسطية . ابن تيمية .
١٩ ــ الولاء والبراء في الإسلام . محمد بن سعيد بن سالم القحطاني .

# الفصل الثالث
# انحرافات ومؤامرات

**١١٥** ــ إذا قامت عقيدة المسلم على العِلْم المستبصر والاقتناع الواعي ، وإذا أحاطها ــ بعد ذلك ــ بما يزيدها على الدوام قوة ورسوخاً ، من استدامة الصلة بمصادر الهدى ــ القرآن والسنة وما نبت على ضفّتيهما ــ ومن العمل الصالح والالتزام الجاد المنبثق من ذلك الإيمان ، فلا خوف على عقيدته ــ إن شاء الله ــ من أي معتقدات أخرى تُعرَض عليه أو شبهات تُدسّ له ، لأنه في حصن من عقيدته الصافية ، وقلبه بها مملوء فلا مكان فيه لسواها ، وثقته بها لا حد لها ، ولأن الحق دائماً غالب ، والباطل دائماً زاهق .

**١١٦** ــ لكن يحدث ــ في حالات كثيرة ــ ألا تكون الأمور قائمة ولا واضحة على هذا النحو المثالي ، فيمضي البعض بعقيدة فيها شيء من النقص أو الغموض أو السطحية ، أو تشغله أمور الحياة عن العناية بها ورعاية حقها في التثبيت والتحصين ؛ وهنا يكمن الخطر ، ويجب التنبيه والتحذير .

إن هذا البعض من المسلمين يصبح بلا حصانة ، قابلا لأن يتأثر بالمعتقدات والتيارات والمذهبيات والتصورات المنحرفة ، فيدخل عليه التشويش في عقيدته ، وقد ينجرّ بعيداً عنها في واقع تصرفاته ، دون أن يدري ، معتقداً أنه ما زال على عقيدة إسلامية صحيحة . ويزداد احتمال وقوع هذا الخطر حين يكون الأمر مخططاً من قِبَل مروجي تلك المعتقدات المخالفة أو المناهضة للإسلام وعقيدته ، كما هو الحال في دورات الصراع بين الإسلام وأعدائه ، وخاصة في الدورة الحالية ، إذ

يصطنع هؤلاء من أساليب الخداع والتضليل ووسائل التأثير الفتاكة ما يقضي على إمكانيات المقاومة لدى أصحاب العقيدة الساذجة أو المهزوزة من المسلمين ، خاصة الناشئة منهم ، وفي هذا العصر بالذات ، حيث لا تتوفر البيئة المسلمة الصالحة : لا في المنزل ولا في المدرسة ولا في المجتمع العام ، وحيث تبرّجت وسائل الأعداء في التأثير وتسلّحت بكل القدرات المادية والمعنوية التي وفرها التقدم العلمي والتقني .

والنتيجة أن يصبح بين صفوف الأمة مصابون بجراثيم التشوه في العقيدة ، وعن طريقهم تنتقل العدوى إلى آخرين : من الوالدين إلى الأولاد ، ومن المعلمين إلى الطلاب ، وبين الأخوة والأصدقاء والزملاء ... الخ ، فإذا بالمرض يتفشى ويزداد الضعف في جسد الأمة ، الأمر الذي يفتح الطريق سهلا أمام عدوها فيغزوها أو يتمكن منها . وهذا — للأسف — واقع ملموس وبشكل مخيف .

**١١٧** — من هنا ، أصبح واجباً على كل قادر من المسلمين أن يبذل ما في وسعه لعلاج هذا الخلل بنشر العقيدة الصحيحة ، بكل الوسائل ، على أوسع نطاق ، خاصة بين الشباب — بنين وبنات — ومن في حكمهم من حيث ضعف المحصول في هذا المجال . كما أن الواجب عليهم — وعلى نفس المستوى من الاهتمام — أن يبصّروهم بالمعتقدات المخالفة والمناهضة لعقيدة الإسلام ، وينبّهوهم إلى مواطن الخطأ والزيغ فيها ، وإلى القوى المعادية التي تقف وراءها ، والأهداف الخبيثة المدمرة التي يرومونها ، وذلك حمايةً لأبناء المسلمين ، وتعزيزاً لموقفهم أمام تلك الهجمات ، وتمكيناً لهم من اتخاذ موقع الدفاع الناجح عن عقيدتهم ومن رد كيد الأعداء إلى نحورهم .

ولقد أرسى القرآن الكريم لنا المنهج في هذا المقام حين كشف زيف معتقدات الأمم والجماعات السابقة والمعاصرة لنزول القرآن ممّن حرَّفوا عقائدهم الصحيحة أو افتروا لأنفسهم معتقدات ما أنزل الله بها من سلطان ؛ لقد عرَّى لنا اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا : معتقداتهم المحرّفة وما أقاموه عليها من تصورات ومواقف في شتى شؤون الحياة ، خاصة مواقفهم الظالمة من الحق وأهله .

**١١٨** ــ انطلاقاً من هذا التصور تقدم الصفحات التالية خطوطاً عريضة ومعلومات أساسية عن مواقف أهم المعتقدات والمذهبيات الأخرى من أركان العقيدة الصحيحة : الإيمان بالله وبشريعته ( الملائكة والكتب والرسل ) وبالجزاء الأخروي العادل وبالقدر .

وكل المذهبيات والتيارات ، وما ارتبط بها من فِرَق ومنظمات أو مخططات ومؤامرات ، تنطلق من « معتقدٍ » مّا يعبّر عن تصوّر صاحبه للكون والحياة والمصير ، ولقيمة الإنسان وقِيَمِه ودوره وغاياته في هذه الحياة ، مهما اتخذت تلك المذهبيات والتيارات ... اتجاهاً يبدو بعيد الصلة بالمعتقادت الدينية ، كأن تتخذ طابعاً اجتماعياً أو فكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو تربوياً أو فنياً أو علمياً ؛ فإذا انبثقت تلك المذهبيات من عقيدة فاسدة اتخذت موقف العداء والحرب لعقيدة الحق التي جاء بها الإسلام ولكل ما ينبني عليها من مناهج ونظم وقيم في شتى شؤون الحياة . فالتصور العلماني ــ مثلا ــ للتعليم يعادي التصور الإسلامي له ؛ ومذاهب الفن الإباحية تعادي معايير الإسلام للفن ... وهكذا .

وعلى هذا نتوقع أن تقف غالبيةُ ــ إن لم تكن كلُّ ــ المذهبيات ،

فضلا عن المعتقدات ، غير الإسلامية في خندق واحد ضد عقيدة الإسلام ومنهجه للحياة :

ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٨:٧٣) .

ووقائع الصراع بين الإسلام والعقائد والمذهبيات الأخرى ، في كل العصور ، وخاصة في هذا العصر ، تجسّد هذه الحقيقة ، إذ يتعاونون على حرب الإسلام مهما تكن العداوات بينهم .

**١١٩** ـ وقبل الدخول إلى صميم الموضوع ، يحسن أن يقف المسلم على أهم الأسباب والدوافع التي تقف وراء نشأة تلك المعتقدات والمذهبيات ... الخ ، ووراء تحركات أهلها وعدائهم للإسلام والمسلمين :

أ ـ الحقد على الإسلام ، الذي كان ظهوره وانتشاره قضاء على المصالح غير المشروعة التي كانت تتمتع بها تلك القوى من قبل ؛ كما كان إظهاره للحق الخالص في العقيدة وفي منهاج الحياة كشفاً للزيف والتضليل الذي مارسته تلك القوى على أتباعها .

ب ـ الرغبة في مقاومة انتشار الحق الذي جاء به الإسلام ، والذي تستجيب له الفِطَر والنفوس ، الأمر الذي يخيف تلك القوى أن تفقد ما في حوزتها الآن من نفوذ ومكاسب .

جـ ـ الطمع في عَرَض الدنيا ـ من سلطة أو مال أو شهرة ـ الأمر الذي يدفع بعض الأفراد ـ وقد يكونون من المسلمين اسماً ـ إلى قبول تلك المعتقدات والمبادئ الباطلة والترويج لها ، أو استحداث شيء منها ، ولو باسم الإسلام ذاته .

د ـــ الإنبهار بحضارة الغرب والتأثر بما فيها من تيارات فكرية غريبة عن الإسلام نبتت في بيئة الغرب الوثنية أو الملحدة .

هـ ـــ الجهل بحقيقة الإسلام .

و ـــ التقليد الأعمى والخضوع الذليل لما يقوله أو يفعله رجال الدين والكهنوت الذين يتاجرون بالدين ويشترون به ثمناً قليلا .

**١٢٠** ـــ والآن ، نوضح في إيجاز شديد أهم الانحرافات والتشويهات التي أُدخلت على **أركان العقيدة** الصحيحة كما عُرضت سابقاً . تلك الانحرافات والتشويهات التي وقعت ـــ أو ساهمت ـــ فيها جماعات مختلفة على مدار التاريخ من قَبْل الإسلام وإلى اليوم . ويُهمنا من تلك الجماعات تلك التي لا تزال قائمة إلى اليوم وبينها وبين الإسلام وأمته صراع بوجه من الوجوه . ومن الممكن تصنيفها في مجموعات متميزة على النحو التالي :

أ ـــ أهل الكتاب : اليهود والنصارى .

ب ـــ أتباع النِّحل غير السماوية كالهندوس والسيخ والبوذيين .

جـ ـــ أتباع المذهبيات (الأيديولوجيات) والدعوات الأرضية الدنيوية : العلمانية والشيوعية والاشتراكية والوجودية و «الليبرالية» والوجودية و «الميكافيلية» والعالمية والإنسانية والعقلانية ووحدة الأديان ؛ وكذلك النزعات العنصرية من قومية وإقليمية وعرقية ... الخ .

د ـــ الفِرَق التي نشأت في بلاد الإسلام وانتسبت إليه ، ولكنها انحرفت عن عقيدته الصحيحة انحرافاً كلياً (كالفرق الباطنية : الإسماعيلية والنصيرية (العلويين) والدروز والبهائية والقاديانية

والتصوف الفلسفي المارق)، أو انحرفت جزئياً (كالشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة)[١٣].

### ١٢١ ــ الإيمان بالله :

هذا الركن ــ في العقيدة الصحيحة ــ يقوم على التوحيد المطلق والتنزيه المطلق ، ( راجع فقرات ٢٣ــ٤٨ ) ؛ ولقد أصابت هذا الركنَ تشويهاتٌ كثيرة أهمها :

#### أ ــ الشِّرك :

تمثل هذا الانحرافُ الخطير في ظواهرَ متعددةٍ :

١ ــ نِسبة الولد إلى الله ــ تعالى ــ ( عزير عند اليهود ، وعيسى عند النصارى ) .

---

(١٣) للتعرف على كثير من هذه الأديان والمعتقدات والمذهبيات والفرق والتيارات ، راجع :

١ ــ د . محمد عمارة . تيارات الفكر الإسلامي (دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣) .

٢ ــ عبد الله الأمين . دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة (توزيع دار الثقافة ، قطر ، ١٩٨٦) .

٣ ــ محمد الحسن . المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي (دار الثقافة ، قطر ، ١٩٨٦) .

٤ ــ أنور الجندي . الإسلام والدعوات الهدامة . (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٤ .

٥ ــ د . رؤوف شلبي . آلهة في الأسواق : دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق (دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٣) .

٦ ــ محمد قطب . مذاهب فكرية معاصرة (دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٧) .

٧ ــ عبد القادر شيبة الحمد . الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (السعودية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٣٨٧هـ ) .

٢ ــ القول بتعدد الآلهة ، كالتثليث في الهندوكية وغيرها من الوثنيات القديمة ، والذي انتقل منها إلى النصرانية .

٣ ــ اتخاذ الأصنام والأوثان وعبادتها ، وهي لا تزال شائعة بين الهندوس والبوذيين ، وحتى النصارى أصبح الصليب وتماثيل العذراء والمسيح وصورهما عندهم أصناماً تعبد .

**ب ــ الإلحاد في صفات الله عز وجل :**

أي إخراجها عما يليق بها من كمال وتنزيه عن كل نقص أو مشابهة للحوادث (المخلوقات) : فاليهود ــ في كتبهم المقدسة عندهم (العهد القديم والتلمود) ــ ينسبون إلى الله عز وجل صفات هابطة لا تليق حتى بالبشر ؛ فهو عندهم يخطئ ويصيب ويندم ويبكي ويلطم ويصيبه الطيش والغضب ، ويصارع فرداً من البشر فيغلبه البشريّ وينزله على إرادته ، كما يصفونه ــ سبحانه ــ بالبخل ويصورونه بأن يده ــ تعالى ــ مغلولة :

ــ ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾

(٥:٦٤)[١٤] .

والنصارى يعتقدون ــ بشكل غامض يصعب فهمه ــ أن الله تجسّد وحلّ في مخلوق «يأكل الطعام» (٥:٧٥) ، وأنه صُلِب وجأر بالصراخ والاستغاثة وهو على الصليب ، ثم مات

---

(١٤) راجع : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية . عبد الله التل (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٩) ، ص ٦٩ــ٧١ .

ودُفِن ثم قام من قبره . كذلك ، أَضْفَوْا صفات الربوبية على أحبارهم ورهبانهم (٣١:٩) .

ولا تقِلّ الديانات الأرضية في الإلحاد في صفات الله عما فعله أهل الكتاب بها .

**١٢٢ ــ الرسل والأنبياء :**

إن لهم ــ في العقيدة الصحيحة ــ أسمى صفات الكمال البشري ، ولهم العصمة من كل ما يشينهم ، خاصة في تبليغ رسالات ربهم . ( راجع فقرات : ٦٠، ٦٣ ) .

لكن اليهود والنصارى يصفونهم ــ في « العهد القديم » الذي يؤمنون جميعاً بقدسيته ــ بأحط الصفات ؛ فنراهم في العهد القديم : قتلة وشهوانيين لا يتورعون عن الزنا حتى بالمحارم ؛ كما يصورونهم شُرَّاب خمر ومتآمرين غشاشين مخاديعين يبيعون النبوة ــ أو ينالونها ــ بأُكْلة ، عنصريين يُنزلون اللعنات على الأفراد والجماعات لأتفه الأسباب .

ولهذا لم يلقَوا من أهل الكتاب ــ خاصة اليهود ــ سوى الاستكبار والتكذيب والقتل (٨٧:٢) ؛ وقلّد النصارى من قبلهم من الوثنيين ــ هندوس وبوذيين ويونان ورومان ــ فجعلوا من رسول الله عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، إلهاً أو ابن إله ؛ أو ثُلُث إله :

ــ ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠:٩)

أما من عدا أهل الكتاب فهم لا يؤمنون بالرسل ولا الأنبياء ، ولا

يقيمون لهم وزناً إن سمعوا بهم رغم أنهم قد يقدسون أحجاراً أو أشجاراً أو حيوانات .

**١٢٣ ــ الشريعة :**

كما زيَّف أهل الكتاب ــ يهود ونصارى ــ عقيدتهم في الله وأهانوا رسله ، نبذوا شريعته تعالى وراء ظهورهم : حرَّفوها حسب أهوائهم وعطَّلوا تكاليفها :

ــ ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٦٢:٥) .

ــ ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣:٧١) .

أهمل اليهود التوراة بعد تحريفها وقدموا عليها أقوال حاخاماتهم المدونة في « التلمود » .

وليس لدى النصارى نص يوثق بنسبته إلى عيسى عليه السلام أو الإنجيل الذي أنزله الله عليه . بل عندهم أربعة أناجيل تنسب إلى متى ومرقص ولوقا ويوحنا انتقَوْها من بين العشرات التي كانت متداولة . وبين الأناجيل الأربعة من التناقض الشيءُ الكثير .

وقد انتهت الشعوب التي تنتسب إلى اليهودية والنصرانية إلى استبدال شريعةٍ من وضع البشر بشريعة الله ، ولم يبق لهم من الشريعة التي ينسبونها إلى الله سوى طقوس وعادات شكلية لا قيمة لها .

ولقد حرص كبار رجال الدين عند أهل الكتاب على احتكار حق تفسير النصوص الدينية حسب أهوائهم ، بل أضفوا على أنفسهم

عصمة وقداسة وادَّعوا لها سلطة النيابة عن الله في التشريع كيفما شاءوا ؛ وبذلك أصبح جمهور اليهود والنصارى كما قال القرآن الكريم :

ــ ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢:٧٨) .

أما غير أهل الكتاب من الجماعات الوثنية أو الشعوب العلمانية فليس لديهم ــ أصلا ــ شريعة ربانية ، فأحلّوا عقولهم وأهواءهم محل الرب المشرّع ، وصاروا ــ وما زالوا ــ يتخبطون في النظريات والفلسفات والنظم التي يناقض بعضها بعضاً .

**١٢٤ ــ الجزاء :**

هو ــ في عقيدة الحق وفي قلوب المؤمنين بها ــ صمام الأمان وميزان العدل ورمز الحكمة في خلق الكون والناس ، والركن الذي يجعل لحياة الإنسان معنى ولعمله غاية سامية ، كما أنه حافز إلى عمل الخير ورادع عن عمل الشر .

أما عند أهل الكتاب ــ محرِّفي العقائد والشرائع ــ فقد تحول إلى وهم من أوهامهم ، وأمنية زائفة من أمانيهم يخدعون بها أنفسهم عن الباطل الذي أقاموا عليه حياتهم ، فقالوا ــ كما علَّمهم أحبارهم ــ :

ــ ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٣:٢٤) .

وقالوا أيضاً :

ــ ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾ (٢:١١١) ؛

ـــ ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١١١:٢) ؛

وقالوا :

ـــ ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (١٨:٥) .

ولهذا أهدروا تكاليف الشريعة واستحلّوا محارمها وولغوا في الفجور إلى أقصى الحدود إذ أوهموا أنفسهم بأن مجرد انتسابهم إلى اليهودية ، أو النصرانية والقيام ببعض الطقوس الشكلية ، يضمن « الخلاص » كما يسمونه واستحقاق الجنة ، مع أنهم يعلمون ـــ يقيناً ـــ كذب تلك الدعاوى الخلاصية . ولهذا فضحهم الله تعالى وهدّدهم بقوله :

ـــ ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢: ٩٤ـــ٩٥) .

وكانت نتيجة ذلك أن عبدوا الحياة الدنيا بعد أن أسقطوا الآخرة من حسابهم :

ـــ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦:٢) .

**١٢٥** ـــ وإذا كان هذا هو شأن أهل الكتاب الذين عندهم ـــ عن طريق كتبهم في أصولها ـــ علم بهذا الركن الغيبي من أركان العقيدة ، فكيف يكون حالُ غيرهم ممن ليس عندهم علم من

الكتاب ؟! إنهم — ولا ريب — أسوأ بكثير ؛ ولهذا ترى الشعوب الوثنية واللادينية — على مختلف مسمياتها — لا تعمل لحساب الآخرة وجزائها أي حساب ! ولك أن تتصور أيّ فساد يمكن أن يحدث ممن لا يتوقع مساءلة ولا حساباً ولا عقاباً ، خاصة إذا امتلك القوة !!

**١٢٦ — القضاء والقدر :**

هذا الركن — في العقيدة الصحيحة — ثمرة للإيمان الصحيح بالله تعالى وصفاته وأفعاله ؛ فالمؤمن الحق يعتقد أن كل شيء في هذا الكون قائم على علم وحكمة ونظام محكم لأنه من إبداع الخالق المتصف بكل كمال المدبّر لكل شيء المهيمن — في كل لحظة — على كل شيء . ( راجع فقرات : ٨٨—٩٣ ) .

أما أصحاب العقائد المنحرفة والباطلة — كتابيين أو وثنيين وملحدين — فإنهم لا يعتقدون بهذا الركن لتشوه مفهوم الإله وصفاته وأفعاله في معتقداتهم ، أو لعدم إيمانهم بالله أصلا . لهذا تمتلئ فلسفاتهم ومناهج علمهم بالحياة بخرافات كثيرة في مجال تصور الكون ونظامه وما يحدث فيه ؛ فتارة يقولون بالصدفة — التي تعني الفوضى — وتارة ينسبون التأثير إلى الطبيعة ، ذلك المصطلح الغامض الذي يتسترون وراءه هرباً من الاعتراف بالحقيقة الواضحة .

وعلى الرغم من أن البحث العلمي المجرد والموضوعي قد أوصل بعض علمائهم إلى رفض فكرة الصدفة في نظام الكون ، والجزم بضرورة وجود قوة عالمة قادرة وحكيمة وراء هذا النظام المحكم الذي اكتشف العلمُ بعضَ جوانبه وسننه في الكون ، فإن انحرافهم عن المنهج الحق في تصور الكون لا يزال قائماً في أمرين خطيرين :

أ ــ أنهم لم يتابعوا ما هداهم إليه البحث العلمي ليصلوا إلى النتيجة الحتمية ، وهي الاعتراف بوجود الخالق الواحد المدبر لهذا الكون وبمنهجه الذي أرسل به رسلَه .

ب ــ أنهم وقفوا ــ في اعترافهم بالقوة المدبرة ــ عند حدود العلوم الرياضية والمادية ، ولم يسحبوه ــ كما يجب ــ على الميادين الإنسانية مع أنها ــ في الحق ــ جزء من نظام هذا الكون وخاضعة ، كالمجالات المادية ، لتدبير ذلك الخالق ، ولها قوانينها الصارمة التي تحكمها مثل سواها من المجالات . ومن هنا كثرت ــ بل تضاربت ــ عندهم الفلسفات والتنظيرات ، واتسع المجال لكل الشياطين أن يدُسّوا كل زائف ومخرِّب من الفكر تحت شعار أنه علم ، وما هو إلا ظن لا يغني من الحق شيئاً . وقد تبوأ اليهود مواقع القيادة في مخطط الإضلال هذا في مختلف المجالات الدراسية : دارون ، نيتشة ، دوركهايم ، فرويد ، يوسف شاخت ، جولد تسيهر ، ماركس ، برنارد لويس ، موروبيرجر ، هنري كيسنجر ، ... الخ .

**١٢٧** ــ من هذا العرض المركز لصور التشويه والإنحراف والجحود التي وقعت فيها مختلف الأمم والجماعات ــ كتابيين ووثنيين وملحدين ــ يتضح لنا أنها جميعها تصب في مجرى واحد وتقود إلى موقف واحد ــ مجاهر أو مناور ــ هو إحلال ما يمليه الهوى والشهوات والمصالح الآنية الأنانية ، فردية كانت أو طبقية أو عنصرية ، محل منهج الحق الذي أنزله الخالق العليم سبحانه وتعالى . وهذا الوضع المقلوب نتج عنه نتيجتان خطيرتان شرُّهما مستطير ، ولذلك يعنينا الوقوف عليها في هذا المقام ، وهما :

**الأولى** : شيوع الضلال والفساد والفتنة في حياة البشر ما دامت تلك الانحرافات العقدية سائدة في الناس ؛ وهذه حقيقة شاخصة وثابتة تشهد لها ملايين الوقائع وسجلات التاريخ في كل العصور ، خاصة في عصرنا هذا .

ولقد أشارت إلى هذه الحقيقة آيات عدة في كتاب الله تعالى أبلغ إشارة :

— ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣:٤٥) .

— ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١٣٦:٤) .

— ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (١٢٤:٢٠) .

**الثانية** : أن تلك الجماعات المنحرفة والضالة — في عقيدتها — تقف ، معسكراً واحداً ، موقف العداء والكيد من عقيدة الحق وشريعة الحق ، ومن كل من يؤمن بها ويحيا بمنهجها ويدعو الناس إليها . وهذه — أيضاً — حقيقة شهد ، ولا يزال يشهد لها الواقع ، وسجلها الله سبحانه في كتابه المحفوظ تسجيلا واضحاً حاسماً :

— ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (٨٩:٤) .

— ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ (١٠٢:٤) .

— ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (٢ : ١٠٩) .

— ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٨ : ٧٣) .

— ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٤٥ : ١٩) .

— ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٨ : ٣٦) .

وهم في هذه السبيل يترسّمون خطى إبليس — عدو البشر الأول والمقيم — في خطته الحقودة :

— ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٧ : ١٦ ، ١٧) .

— ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٦ : ١٢١) .

**١٢٨** — أما « **الفِرَق** » التي نشأت في بلاد الإسلام وانتسبت إليه لأسباب مختلفة ، ولكنها انحرفت في عقيدتها عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فيمكن تصنيفها إلى تيارين متميزين :

**الأول : الفرق الخارجة عن الإسلام :**

والغالب أن « فرق » هذا التيار المارق قد نشأت نشأة معادية للإسلام مستهدفة النيل منه ومن أمته ودولته ، ولكن مؤسسيها وقادتها اتخذوا من إعلان الإسلام ستاراً يخفون وراءه أهدافهم الخبيثة .

ومن أبرز الفرق المنضوية تحت هذا التيار مجموعة «الفرق الباطنية» التي اعتمدت ــ في عملها ــ أسلوب «الظاهر» و «الباطن» ليخدعوا الناس ويفتحوا لأنفسهم باب التأويل في الإسلام بما ينقض عقيدته وشريعته من أساسها . ومن أشهر الفرق «الباطنية» :

- القرامطة ،
- الإسماعيلية ( ومنهم الفاطميون والحشاشون ) ،
- النصيرية ( العلوية ) .
- الدروز
- البابية والبهائية .

وقد كان لهذه الفرق ــ التي بدأت تحت مظلة التشيع لآل البيت ــ أنشطةٌ مخرّبة ضد الإسلام في الماضي ، ولا تزال إلى اليوم تعمل على نفس الطريق وترتبط بعلاقات مشبوهة مع كل القوى الحاقدة على الإسلام من يهود ونصارى وصهاينة وماسونيين .

ويمكن أن نُلحق بهذا التيار المارق فرقة « الأحمدية » أو « القاديانية » أتباع ميرزا غلام أحمد الذي ادعى النبوة وأبطل فريضة « الجهاد » خدمة لأسياده الإنجليز زمن احتلالهم لشبه القارة الهندية المسلمة .

وبه أيضاً يُلحق تيارُ التصوف الفلسفي القائل بوحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد بين الخالق والمخلوق مما أخذه متصوفة هذا الخط من المعتقدات والوثنيات والفلسفات غير الإسلامية[١٥] .

---

(١٥) راجع عن التصوف : الصوفية معتقداً ومسلكاً . د . صابر طعيمة ( السعودية ، دار عالم الكتب ، ١٩٨٥ ) .

**١٢٩ ــ الثاني** : « الفرق » التي خالفت منهج أهل السنة والجماعة في بعض ما يتصل بالعقيدة . وهؤلاء ليسوا على درجة واحدة من حيث مدى التشويه الذي دخل على عقيدتهم الإسلامية ، والضرر الذي أصاب الإسلام والمسلمين من وراء إنحرافهم هذا .

أكبر الفرق الباقية من هذه المجموعة فرقة «الإمامية الإثنا عشرية » التي قامت على مبدأ أن الأئمة بعد رسول الله ﷺ قد عُيِّنوا بنص من الله ، وليس أمر الخلافة شورى بين المسلمين . وقد ترتب على هذا المبدأ ــ الذي انبثق من ميدان السياسة ــ مجموعة من المبادئ الغريبة عن الإسلام أخذت صبغة المعتقد ، أبرزها :

* اعتبار «الإمامة» ركناً من أركان الإيمان كالنبوة تماماً ؛ وبعضهم رفعها فوق النبوة درجة .
* إضفاء صفة «العصمة» المطلقة على الأئمة منذ ولادتهم إلى موتهم ، والمبالغة في صفاتهم بما يكاد يضعهم فوق مستوى البشر . ويتضمن هذا المعتقد أن يروي الإمام ما يشاء عن الرسول ﷺ دون سند أو لقاء ، وأن على الناس أن يقبلوا كل ما يقوله لهم ولا يجوز لهم أن يردوا منه شيئاً .
* القول بالإمام الغائب المستور منذ ٢٦٠هـ . إلى اليوم .
* القول بالبداء والرجعة والتقيّة بمفاهيمها الخاصة لديهم .
* موقفهم الظالم من أبي بكر وعمر وعثمان ومن جمهور صحابة النبي ﷺ حيث يرمونهم بالظلم ، وبعضهم يرميهم بالردة عن الإسلام ؛ وكذلك موقفهم من جمهور المسلمين السنّة .
* موقفهم من القرآن الكريم حيث يشكك بعضهم في حفظ نصه

من التحريف ، أو يتعسّف في تأويل آياته لتوافق معتقدهم هذا .

* موقفهم من سنة رسول الله ﷺ إذ يرفضون كل ما لم يأت عن طريق أئمتهم ، وينسبون إليها ما لا يعرِف له علماءُ المسلمين أصلا ثابتاً[١٦] .

**١٣٠** ــ ومن هذا التيار أيضاً جماعات من أتباع التصوف غير الفلسفي ، آمنوا بأمور وشطحات تأباها عقيدة الإسلام كتقديس

---

(١٦) راجع : **أ ــ مصادر شيعية :**

١ ــ عقائد الإمامية . الشيخ محمد رضا المظفر (دار التبليغ الإسلامي ، قم ، إيران) .

٢ ــ أصل الشيعة وأصولها . محمد الحسين آل كاشف الغطاء (القاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٨٥ م) .

٣ ــ نتائج الفكر في شرح الباب الحادي عشر . محمد الكرمي (قم ، إيران ، ١٣٩٥هـ) .

٤ ــ دلائل الصدق . آية الله محمد حسن المظفر (مكتبة بصيرتي ، قم ، إيران ، ١٣٩٥هـ) . ٣ مج .

٥ ــ الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة . هاشم معروف الحسني . (دار القلم . بيروت ، ١٩٧٨ م) .

٦ ــ الشيعة والتصحيح : الصراع بين الشيعة والتشيع . د . موسى الموسوي (١٩٨٨) .

**ب ــ مصادر غير شيعية :**

١ ــ دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة . عبد الله الأمين . (دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٨٦ م) .

٢ ــ أثر الإمامة في الفقه الجعفري . د . علي السالوس .

٣ ــ الثورة الإيرانية في الميزان . الشيخ محمد منظور نعماني ، كبير علماء الهند ، ترجمة د . سمير عبد الحميد .

٤ ــ صورتان متضادتان . أبو الحسن الندوي (دار الصحوة ، القاهرة) .

٥ ــ الإتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم . د . محمد حسين الذهبي .

شيوخهم وأقطابهم والتسليم لهم بدعاوى يرفضها الإسلام( كادّعاء القدرة على علم الغيب وعلى التأثير في الكون بغير الأسباب المعتادة ، ودعوى التلقي المباشر عن الله تعالى إلهاماً ومقامات واعتمادهم ذلك مصادر للمعرفة وللأحكام ؛ والتأويل الرمزي المتعسف لبعض نصوص القرآن والسنة ) . ومن ذلك الرضا بتقصير شيوخهم في أداء التكاليف الشرعية بحجة أنهم من « **الواصلين** » . وهناك صلة تاريخية وموضوعية بين التشيع والتصوف .

**١٣١** ــ ومن أبرز الملاحظات ذات الصلة بالعقيدة على هاتين الجماعتين :

١ ــ وجودُ ضرب من الكَهَنوت يربّي جمهور الأتباع على مبادئ الطاعة المطلقة والاتّباع والتسليم بلا مناقشة ، وترك فهم العقيدة وتفسير أمورها لطبقة خاصة من الرؤوس ( «الآيات» و «الحجج» عند الشيعة ، و «شيوخ الطريقة» عند الصوفية ) .

٢ ــ نقصٌ واضح في مناهج التربية أبرزُ سماته التركيزُ على الجانب العاطفي وإهمال تربية العقل ، والوقوف عند تلقين بعض المبادئ وإهمال تعليم التشريعات والتكاليف العملية . (وهذا أكثر وضوحاً عند الفرق الصوفية) .

٣ ــ وجود درجة من التعظيم أو التقديس من الأتباع للرؤوس : لأشخاصهم وأقوالهم وأفعالهم ، والتصديق الفوري لما يصدر عنهم أو ينسب إليهم مهما كانت غرابته . وهذا ولّد في الأتباع تصلبّاً واضحاً في الاستمساك بما يُلقَى إليهم من مبادئ وتعليمات ، وحماساً في التنفيذ .

٤ ــ ميل عام إلى الاكتفاء ببعض جوانب الإسلام التي لا شوكة

فيها ، والبعد عن مجالات المواجهة وتحمل المسؤولية (كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . وهذا أكثر وضوحاً عند أتباع الطرق الصوفية (إلى حد أن بعضهم تعاون — ولا يزال — مع الحكومات الظالمة ، بل مع المستعمر أحياناً ، أو على الأقل رضي وتابع) ، ولكنه موجود أيضاً عند الشيعة رغم ما عُرِف عن عامتهم من حماس واستعداد للإلقاء بأنفسهم في المخاطر إذا ما صدرت إليهم الأوامر .

ولعل السبب في هذه السلبية هو ما استقر عليه الفريقان في فهمهم لقضية العمل والجزاء من أن مجرد الإيمان بالإمام — عند الشيعة — كفيل بالنجاة ، ومجرد تنفيذ أوامر الشيخ — وهي لا تعدو حلقات الذكر وترداد الأوراد — كفيل بالوصول بالمريد إلى مراتب القرب و «الوصول» والمكاشفة بين العبد وربه ، وذلك عند الصوفية . وهذا — بشقيه — أشبه بفكرة «الخلاص» — عند أهل الكتاب — التي رفضها القرآن . (راجع فقرة ١٢٤) .

**١٣٢** — ومن الجماعات التي يمكن إدراجها تحت تيار الإنحراف الجزئي هذا ، بعض الفرق «الكلامية» كالخوارج والمرجئة والمعتزلة .

**فالخوارج** حكموا بالكفر على مرتكب الكبيرة وبالخلود في النار ؛ وكفَّروا من خالف رأيهم هذا ، وغَلَوْا في ذلك حتى استحلّوا دماء المسلمين ، ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١٧] ، ولعل هذا الغُلُوّ هو الذي انزلق إليه بعضُ شبابنا في الوقت الحاضر فضلّوا وأضلّوا[١٨] .

(١٧) الإباضية — الذين يُنسَبون إلى الخوارج — لا يكفرون مرتكب الكبيرة . (البهنساوي . الحكم وقضية تكفير المسلم . ط ١ ، ص ٤) .

(١٨) انزلقت مجموعات — محدودة — من الشباب ، في الستينات ، إلى تبني بعض المفاهيم غير المُمَحّصة فقهياً انتهت بهم إلى القول بتكفير الحكام ثم مَن تحتهم حتى انتهوا إلى =

أما **المرجئة** فقد وقعوا في خطأ الفصل بين الإيمان والعمل إلى حد أن قال بعضهم إن مجرد الاعتقاد بالقلب — بل مجرد النطق بالشهادتين — كافٍ لتحقيق الإيمان حتى وإن اعتقد صاحبه الكفر(١٩) . ولا شك أن هؤلاء قد فتحوا باب شر مستطير وضلال أمام عامة المسلمين فولجه بعضُهم فضاعوا . وكأن المرجئة — بلغة العصر — هم سلف العلمانيين القائلين بفصل الدين عن الحياة وتجميده في القلوب والشعائر .

**المعتزلة** ، هم أشهر هذه الفرق الكلامية وأوغلها في فلسفة العقيدة ومَنْطَقَتِها ؛ فهم — رغم جهودهم الطيبة في ردّ شبهات الملحدين وأعداء الإسلام بنفس أسلوبهم وسلاحهم — قد وقعوا ، مع افتراض حسن النية لديهم، في مزالق عَقَديّة أهمها :

١ — الغلوّ في الاعتداد بالعقل وإمكانياته ، إذ اعتبروه أول الأدلة الشرعية وقدّموه على الكتاب والسنة والإجماع ، كما جعلوه — هو لا الشريعة — مصدر الحكم بالحسن أو القبح .

٢ — القول بأن مرتكب الكبيرة من المؤمنين إن مات عليها دون

---

الحكم بكفر المجتمع وكل من ليس على فكرهم ومنهجهم . وقد لابست ظهورَ هذا الفكر المنحرف ظروفٌ عصيبة من ظلم السلطة واستبدادها وقمع الداعين إلى تحكيم شرع الله بوحشية فاجرة ومخططات من الخارج والداخل للقضاء على الحركة الإسلامية وإباحة حمى الأمة للغزو الصليبي والصهيوني . ولكن نظراً لشذوذ هذا الفكر التكفيري ومجافاته لقواعد الإسلام ، وأيضاً لفشل مخططات القضاء على الحركة الإسلامية التي صمدت في وجه الأعاصير ، ولما نتج عن ذلك كله من صحوة وتوجه متزايد نحو الفهم الصحيح والعمل الصحيح للإسلام ، انحسر تيار التكفير الذي شجعته سلطات الأمن في بدايته واكتوت بناره بعد ذلك ؛ وقد أصبح الآن في دور الإندثار غير مأسوف عليه . (البهنساوي ، السابق ، ص ٣٢٣—٣٧١) .

(١٩) الفرق بين الفرق . عبد القاهر البغدادي ، ص ١٩٠—١٩٥ .

توبة يكون لا مؤمناً ولا كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين يخلدّ في النار مع تخفيف العذاب عنه .

٣ ــ القول بنفي صفات الله تعالى ، أو ــ كما عبَّروا ــ أن الصفات هي عين الذات أو ليست شيئاً غير الذات ، وذلك فراراً ــ حسب زعمهم ــ من القول بتعدد القدماء .

٤ ــ القول بنفي إمكان رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة .

٥ ــ القول بأن القرآن مخلوق ، وهو الأمر الذي كان فتنة لا مبرر لها اكتوى بنارها كثيرون من الصالحين وعلى رأسهم الإمام الممتَحن الصابر أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

وهذا الغلو المعتزلي في «العقلانية» بُعث في العصر الحاضر ليغذي تيار «العلمانية» و «العقلانية» الذي يحاول التشكيك في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وفي كثير من أصول الإسلام وتشريعاته بحجة أن «عقولهم» الحديثة (!) لا تستسيغها .

**١٣٣** ــ إن الصراع المُحتدِم في عالَمنا المعاصر صراع حضاري في جوهره ، وإن اتخذ أشكالا مختلفة وبرزت له دوافع متعددة . ومعنى أنه صراع حضاري أنه يرتكز ــ في كل العصور والحالات ــ على معتقدات ومذهبيات معينة هي التي تحركه وتوجهه .

وفهمنا لعقيدتنا ولمعتقدات الآخرين ومذهبياتهم فهماً صحيحاً ، أساسٌ لا بد منه ــ في هذا الصراع الحضاري ــ كي نستطيع أن نحدد ، على وجه صحيح ، مواقعَنا تِجاه الآخرين ومواقعَهم تجاهنا ، ومدى الخطر الذي يتهددنا والاستعداد الواجب ــ كَمّاً وكيفاً ــ لمواجهته .

ولعل خير مثال على هذا قضية فلسطين . فالعدو ــ اليهود ومن وراءهم ــ يعملون على أساس أنها صراع حضاري مصيري بين الإسلام ، في جانب ، واليهودية والنصرانية ، رغم ما بينهما ، في جانب آخر ، ولكن الأعداء ــ تمويهاً علينا وتنويماً لنا ــ يعرضون القضية على أنها صراع على مساحات من الأرض وحدود ، أو أنها بين يهود وفلسطينيين ، أو أنها «مشكلة الشرق الأوسط» ... الخ .

فمن وعى الحقيقة رد القضية إلى عمقها وبُعدها الصحيح ورسم خطة مواجهته على هذا الأساس . أما من لم يع ، أو من دار في فلك العدو أو وقع في شراكه ، فإنه يسير في طريق التنازل والتخاذل ويرضى بأي حل ولو كان دولة أو دويلة لا هوية لها ، تقوم ــ ولو على شبر من الأرض ــ بدور كلب الحراسة لتحمي حدود العدو وتعضّ أعداءه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم .

من هنا ، فإن اليهود ــ ومن والاهم ــ يخافون أشد الخوف من أي حركة إسلامية حقيقية مهما كان حجمها ؛ وهم على استعداد للتفاهم مع أي نظام أو حركة ترفع أي راية أخرى غير راية الإسلام الحق .

في عام ١٩٨٥ كتب باحث : « إذا صح الوصف السابق للأصولية الإسلامية ، فليس هناك ما هو أكثر حيطة لإسرائيل من أن تعقد تسوية سلمية شاملة مع القيادات العربية الحالية بدلا من أن تنتظر ظروف المستقبل التي لا تعرفها . وهذا الاقتراح يجب أن يلقى تدبراً عاجلا نظراً للتزايد الذي لم يسبق له مثيل في أعداد الفلسطينيين الذين ينضمون إلى الجماعات الإسلامية والتوجه الأصولي القوي في الضفة

الغربية وبين الفلسطينيين الأردنيين تأسيّاً بالحركة النضالية الشيعية في جنوب لبنان »(٢٠).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

**عبد الوارث مبروك سعيد**
**الكويت ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٨ م**

---

(٢٠) R. H. Dekmejiam. ''Fundamentalist Islam'', Middle East Review (Summer 1985), PP. 32-33.

وقد اتخذ اليهود وأعوانهم كل التدابير الممكنة ، ومنذ زمن طويل قبل تفجر الصراع ، ولا يزالون يتابعون تنفيذ وتجديد هذه المخططات المبنية على أسس اعتقادية ليفرغوا شعوبنا من كل محتوى عقيدي يصادم ما تمليه عليهم عقيدتهم هم . انظر الدراسة التي أعدها « عرفة عبده علي »وبدأ نشرها في جريدة الوطن الكويتية ــ يومياً ابتداء من السبت ١٥/١٠/١٩٨٨ وحتى ٢٩/١٠/١٩٨٨ بعنوان : « قبل أن تفكر مصر بعقل صهيوني أمريكي » .

المحتويات

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN